

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بإمضاء الملك محمد العزیز  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



३. १. २. . . . ३६३

117

عَلَيْكُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

منذ القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى

## بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



بإشراف الأستاذ الدكتور حسين محمد بن سعيد

بجۃ الطالبین فرمایں حیدر محمد الشریف

1911/1911 - 1911/1911

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# فہرستِ مکتوباتِ رسالہ

- \* مكانة مكة المكرمة في نفوس المسلمين .
- \* أهمية كتابات الرحالة المسلمين لدراسة تاريخ مكة .
- \* تفوق الرحالة المغاربة في كتابة الرحلات .
- \* أشهر الرحالة المسلمين الذين كتبوا عن مكة المكرمة من بداية القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري .

## ٢٥ الفصل الاول : الحرم المكي والمشاعر المقدسة في كتب الرحالة المسلمين :

- \* الكعبة المشرفة .
- \* الصفا والمروة .
- \* المساجد والمزارات بمكة المكرمة .
- \* جبل الرحمة ومزدلفة ومنى .

## ٧٢ الفصل الثاني : امارة مكة المكرمة في كتب الرحالة المسلمين

- \* امارة مكة المكرمة .
- \* مكة المكرمة أثناء ولاية الامير مكث ( ٥٧١ - ٥٩٧ هـ ) ( ١١٧٥ - ١٢٠٠ م )
- \* مكة المكرمة أثناء ولاية الامير أبونسي ( ٦٥٣ - ٧٠١ هـ ) ( ١٢٥٥ - ١٣٠١ م )
- \* مكة المكرمة أثناء ولاية سيفالدين عطيفة وأسعد الدين رميعة ( ٧٠١ - ٧٤٦ هـ / ١٣٠١ - ١٣٤٥ م )
- \* نظام القضاء في مكة المكرمة .

(ب)

الفصل الثالث : الاحوال الاقتصادية في مكة المكرمة كما وردت في  
كتب الرحالة المسلمين

- \* النشاط التجارى والعملات النقدية .
- \* الموارد المالية وغيرها .
- \* بعض الحرف والصناعات .

الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة كما وردت في  
كتب الرحالة المسلمين

- \* فضائل وأخلاق وعادات أهل مكة المكرمة .
- \* طبقات المجتمع المكي .
- \* الاطعمة والاشربة .
- \* الاعياد والمواسم والاحتفالات الدينية .
- \* الخدمات الاجتماعية في الأريطة .

الفصل الخامس : الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة كما  
وردت في كتب الرحالة المسلمين

- \* المسجد الحرام وحلقات العلم .
- \* مدارس مكة المكرمة ومشاهير العلماء والفقهاء .

الخاتمة : أهم النتائج التي توصل اليها البحث  
قائمة المصادر والمراجع

# ملفات مكة

- \* مكاتة مكة المكرمة في نفوس المسلمين
- \* أهمية كتابات الرحالة المسلمين لدراسة تاريخ مكة المكرمة
- \* تفوق الرحالة المغاربة في كتابة الرحلات
- \* أشهر الرحالة المسلمين الذين كتبوا عن مكة المكرمة من بداية القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري .

” بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ”

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله  
سيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وبعد .

الحمد والشكر لله تعالى الذي هدانا - وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا  
الله - الى أن تكون مكة المكرمة وبیت الله الحرام موضوع دراستنا ومحور  
بحثنا ، فالله المعين وعليه التوكل .

ومكة المكرمة تلك البقعة الطاهرة ، التي انبثقت منها أعظم رسالة  
عرفتها البشرية ، وأخلد أمانة تقوم عليها خلافة الانسان في الأرض ، لها  
مكانة عظيمة في نفوس المسلمين جميعا ، فهي مهد الحضارة ، ومهبط  
الوحي ، ومركز العالم الاسلامي ومنبعه ، فعلى أرضها ولد أشرف البشر  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعث شاهدا ومبشرا ونذيرا . كما  
شرفها الله سبحانه وتعالى بوجود البيت العتيق بها ، فهوت اليه  
القلوب ، وتجمعت حوله المشاعر والغايات ، كما جعل المسلمين جميعا  
في شارق الأرض ومغارها على صلة موصولة به دائما . واكسب البيت  
العتيق مكة المكرمة من الشرف والخصائص والمميزات ما سجله القرآن  
الكريم على لسان ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في قوله  
تعالى :

” ربنا انى أسكت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون “ (١) .

لذلك تميزت مكة المكرمة بمكانة عظيمة فى نفوس المسلمين جميعا عن غيرها من المدن الأخرى . وتوفر لها حظ عظيم من زبائن المسلمين لها لأداء الفريضة والتشرف بكعبتها المقدسة ، وأرضها الطاهرة ، كما توفر لها الحب والعطف والحنان فى قلوب المسلمين ، حتى أن الانسان عندما يودعها مفارقا ، يدعو الله من أعماق قلبه أن يعود اليها ، كما أنه لا يفارقها الا وفى نيته الرجوع والعودة اليها .

فالرحالة ابن جبير الأندلسى ، الذى ارتحل من بلده غرناطة لمكة المكرمة حاجا فى سنة ٥٢٨هـ / ١١٨٥م ذكر قائلا عند وداعه للكعبة المشرفة : ” والله عزوجل لا يجعله آخر العهد ببيتة الكريم ، ويرزقنا العودة اليه على خير وعافية بمنه ولطيف صنعه “ (٢) كما عبر الرحالة المغربي العبدري ، الذى ارتحل الى مكة المكرمة فى سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩ عن مكانة مكة المكرمة فى نفسه وفى نفس كل مسلم قائلا : ” انها بلد يسبى عقول الخلق ، ويستولى على قلوبهم ويتملك رقها من غير سبب ظاهر

( ١ ) سورة ابراهيم ، آية ٣٧

( ٢ ) ابن جبير ، تذكرة بالآخبار عن اتفاقات الأسفار ، ص ١٤٤ . انظر ما يلى



فالنفس اليه نزاعة من كل أرض ، ولا يدخله أحد الا أخذ بمجامع قلبه مع عدم الدواعي الى ذلك ، ولا يفارقه الا وله حنين ولو أقام على الضنك سنين لا يمل سكناه ، وما فارقها أحد الا وفى نيته الرجوع اليها<sup>(١)</sup> . كما أشار الرحالة ابن بطوطة الذى ارتحل لمكة المكرمة فى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥ م ، عن محبته لمكة المكرمة ، وأنه لا يفارقها أحد الا أسفا لفراقها ، وتهون له كل الصعاب فى سبيل الوصول اليها ، فقال معبرا عن ذلك أيضا : " وكم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ، ويشاهد التلّف فى طريقها ، فاذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا مستبشرا وكأنه لم يذق لها مرارة " .<sup>(٢)</sup>

هكذا كانت وستظل مكة المكرمة تحظى بهذه المكانة العظيمة ، وهذا الاحترام من المسلمين جميعا لقداستها وطهارتها ، لذلك رحل المسلمون اليها ، ودونوا كتابتهم عنها ، فألقت هذه الرحلات أضواء ساطعة على تاريخها ، كما أنها لعبت دورا هاما فى كشف معالمها وخبائرها .

ولهذه المكانة العظيمة التى حظيت بها مكة المكرمة ، وجدت فى

---

( ١ ) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص ١٧٢ ، انظر ما يلى ص ١٤ - ١٦

( ٢ ) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، انظر ما يلى ١٨ - ١٧

نفسى رغبة شديدة لمعرفة ما كتبه الرحالة المسلمون فيما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين ، عن تلك البقعة الطاهرة التى حظيت منذ القدم بأول بيت وضع للناس ، قال تعالى : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . " <sup>(١)</sup> ، والتى نطق القرآن الكريم بتشريفها ، وأقسم بجليل قدرها ، وذلك فى قوله تعالى : " والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين . " <sup>(٢)</sup>

وفى وصف مكة المكرمة أشار الرحالة ابن جبير وغيره ، بأنها بلدة وضعها سبحانه وتعالى بين جبال تحيط بها ، فهى فى بطن واد مقدس ، كبيرة مستطيلة الشكل ، تسع من الخلائق مالا يحصيه الا الله عز وجل <sup>(٣)</sup> ، كما وصفها الرحالة العبدري ، فى رحلته لمكة قائلا : " ان بنيانها آخذ فى الاستطالة مع الوادى ، ولا سور لها ، الا أنها حيّزت من أعلى الوادى ومن أسفله بحائطين من الصخور ، وفى شرقها المناسك كلها - عرفة - ومزدلفة ، ومنى ، وفى الجنوب منها جبل أبى قبيس ، وفى الشمال الجبل

---

( ١ ) سورة آل عمران ، آية ٩٥

( ٢ ) سورة التين ، أول السورة آيات ١-٣ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٨٧ ، البلوى ، تاج المفرق ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، انظر أيضا الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٠ ، ابن رسته ، الاعلاق - النفيسة ، ص ٣١٦

الأحمر وقميقمان " . (١)

وأشار الرحالة ابن جبير وغيره بأن لمكة المكرمة ثلاثة أبواب ، باب المعلى ، ومنه يخرج الى جبانة مكة المكرمة المعروفة بجبانة الحجون ، وعلى هذا الباب طريق الطائف والعراق وطريق الصعود الى عرفات ، وباب المسفل وهو فى البجوتوب ، وعليه طريق اليمن ، وباب الزاهر ويعرف بباب العمرة ، وهو فى الغرب وعليه طريق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريق الشام وجدة ، ومنه يتوجه الى التنعيم (٢) ، ويستحب الدخول لمكة المكرمة من باب المعلى لأنه عند الثنية المعروفة بكندل ، الذى وقف بها ابراهيم الخليل عليه السلام ، حين دعا ربه قائلا : " فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم " (٣) فاستجيبست دعوته ، كما قيل له " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا " (٤) لذلك

---

(١) العبدري ، ص ١٧٣ ، انظر أيضا ابن بطوطة ، ص ١٣١ ، ابن الجوزى ، شير الغرام الساكن ، ورقة ٩٤-٩٥ .

(٢) ابن جبير ، ص ٨٧-٨٨ ، ابن بطوطة ، ص ١٣١ ، البلوى ، ج ١ ص ٣٠٩ ، انظر السباعى ، تاريخ مكة المكرمة ، ٢٢٣-٢٢٤م .

(٣) سورة ابراهيم - آية ٣٧

(٤) سورة الحج - آية ٢٧

يستحب لمن يأتي مكة المكرمة أن يدخلها من كداء<sup>(١)</sup> . وكذلك يستحب الخروج من باب المسفل حيث يخرج منه على كدى<sup>(٢)</sup> لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل مكة المكرمة دخلها من الثنية العليا ، وإذا خرج منها خرج من الثنية السفلى ، وعن عائشة - رضى الله تعالى عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كدى<sup>(٣)</sup> وخرج من كداء<sup>(٣)</sup> ، من أعلى مكة .

وعن أسماء مكة المكرمة أشار الرحالة العبدري وغيره بأن مسماها اسمائها مكة وبكة ، والقرية ، وأم القرى<sup>(٤)</sup> ، وصلاح والقادس ، والمقدسة

(١) التجيبي السبتي ، مستفاد الرحله والاغتراب ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، انظر ابن رشيد ، ملئ العيبه ، ورقه ٧٨-٨٠ ، محمود شرقاوى ، مكة المكرمة ، ص ١٧ .

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٣) ابن الجوزى ، مثير الغرام الساكن ، ورقه ٩٩ ، ابن رشيد ، ملئ العيبه ، ورقه ٧٩ ، المحب الطبرى ، القرى لقاصد أم القرى ، ص ٢٥٣ ، صحيح مسلم ج ١ ، ص ٥٢٨ .

(٤) العبدري ، ص ١٧٩ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٣٠-٢٣٢ ، انظر الصباغ ، تحصيل المرام ، ورقه ١١٦-١١٧ ، ابن الجوزى ، مثير الغرام الساكن ، ورقه ٩٢ ، محب الدين الطبرى ، القرى لقاصد أم القرى ، ص ٦٥٠-٦٥١ ، الفاس شفاء الغرام ج ١ ، ص ٤٧-٤٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٩ ، ابن اسحق الحربى ، المناسك وطرق الحج ، ص ٧٣-٧٤ ، السباعى تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٣ ، النهر والى ، الاعلام ، ص ١٧-١٨ .

وأم رحم ، والرأس ، والبلدة ، والنساسة<sup>(١)</sup> .

ومن المعروف أن الدافع الأول والأساسى بالنسبة للرحالة المسلمين الأوائل إنما كان العامل الدينى ، ونعنى به تأدية فريضة الحج أحد أركان الدين الإسلامى الخصى . ولما اتسعت الدولة الإسلامية ارتحل المسلمون الى بلدان العالم الإسلامى يطلبون العلم وعنى البعض منهم بعلم تقويم البلدان عناية خاصة لحاجتهم الى معرفة الطريق الى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج . لذلك كان الدافع الأساسى والأول هو فريضة الحج ، فهى أهم أسباب الرحلات التى قام بها الرحالة المسلمون بل كانت هى السبب فى تأصل وتنظيم فن الرحلات ، وذلك لأن الألوף المولفة من المسلمين كانوا يتجهون فى كل عام من هتى أنحسا ، العالم الإسلامى الى مكة المكرمة وذلك لتأدية فريضة الحج . وكان هؤلاء الحجاج عند عودتهم يخبرون عن الطرق التى سلكوها والأحداث التى صادفوها . كما كان النابهون من هؤلاء الحجاج يدونون مشاهداتهم ، ويعملون على أن ينتفع غيرهم بتجاريتهم . فيصفون رحلاتهم هذه تسجيلا لفضلهم ، وهداية لغيرهم ، كما لفتت رحلاتهم نظر

---

(١) العبدري ، ص ١٧٩ ، انظر خليل بن شاهين ، زبد كشاف الممالك

المسؤولين الى ما يجب اصلاحه لتتلافى ما قابلهم من أخطار<sup>(١)</sup> . وكان  
 فى تدوين رحلاتهم هذه للأراضى المقدسة منافع شتى ، وأعظمهم  
 ما فيها أنها كانت سجلا تاريخيا عظيما للمسلمين ، حيث أنها قد مست  
 لنا صورة صادقة ومعبرة عن المجتمع الاسلامى وعن حالته السياسيه  
 والاقتصادية ، بالإضافة الى أن دراسة تاريخ الرحلات يعرفنا أيضا عن  
 مدى تطور العالم الاسلامى وتقدمه أو تأخره وانحطاطه والأسباب التى  
 أدت الى ذلك .

كذلك قام المسلمون برحلات الى أنحاء العالم الاسلامى وذلك لطلب  
 العلم ، متمشين بما جاء فى شريعة الاسلام السمحة ، والتى حثت على  
 طلب العلم ، قال صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو فى الصين " .  
 كما قال عليه الصلاة والسلام : " من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل  
 الله له طريقا الى الجنة " <sup>(٢)</sup> .

وتعددت مراكز الثقافة فى ديار الاسلام ، كما كان رجال العلم  
 ينتقلون فى طلبه من اقليم الى آخر ، ويدرسون على مشاهير وأعلام

---

( ١ ) ذكرى محمد حسن ، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ص ٧

( ٢ ) حديث صحيح للترمذى وأبى داود ، محمد بن سليمان ، جامع

الفوائد ، ج ١ ، ص ٣٧

الفقهاء والمحدثين ، والفلاسفة ، والأطباء ، والرياضيين وبأغـنـون  
(١)  
عنهم .

كما قام المسلمون برحلات لدراسة أحوال البلاد وطرقا ومواقعها ،  
وحاصلاتها ، وغزائها ، مما كان لا بد منه للتأليف في علم تقويم البلدان ،  
ومن الرحالة الجغرافيين الذين ارتحلوا الى البلاد وألفوا كتباً عمـاً  
شاهدوه ، وكان لها أثر عظيم في تطور علم الجغرافية ، اليعقوبى  
المتوفى سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م صاحب كتاب البلدان ، وابن خرداذبة المتوفى  
حوالى سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م صاحب كتاب المسالك والممالك ، وابن حوقل  
المتوفى سنة ٣٨٠هـ / ٩٨١م وله كتاب المسالك والممالك ، والادريسي  
المتوفى سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق  
الآفاق (٢) .

- 
- (١) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ٧٠٦ .  
(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٢ ، ٦٤-٦٥ ، يسرى الجوهري  
الفكر الجغرافى ، ص ٨٧-٩٢ ، نيقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات  
عند العرب ، ص ٢١ ، ٣٩ ، ٨١ .

كما قام الرحالة المسلمون برحلات كان الغرض منها التجارة، واشتهر العرب بالتجارة منذ أقدم العصور، وكانت لهم تجارة واسعة بين الشرق والغرب وساعدت سيادة المسلمين في البحر والبر وروابط الديار واللغة على ازدياد القيام بالرحلات التجارية، فاتجه الرحالة المسلمون للتجار، واجتازوا البلاد الإسلامية وما جاورها، يطلبون ما فيها من عروض التجارة وابتغاء للرزق، فجابوا أقطار الأرض شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، يحملون السلع المختلفة بين الأسواق، ويقومون بالرحلات الطويلة في هذا السبيل، وهناك من الرحالة من جمع في رحلته بين التجارة وطلب العلم<sup>(١)</sup> مثل ياقوت الحموي.

كما ارتحل البعض من الفنانين ومهرة الصنائع من إقليم إلى آخر في الدولة الإسلامية، لينتفع الأمراء بجهودهم، فكان البعض منهم

---

(١) ياقوت الحموي (ت سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، يوناني الجنسية، ولد سنة ٥٧٤ هـ / ١١٨٧ م، وأسر في صغره ثم بيع لتاجر حموي في بغداد، فعلمه، وقام له بعدة أسفار تجارية، ثم اعتقه وأشركه في تجارته وأرسله لمختلف الجهات، واختلف مع سيده ثم اشتغل بنسخ الكتب وبعد موت سيده اشتغل بتجارة الكتب ثم عاود للرحلة والسفر، وجمع مادة ثمينة ألف منها كتابه معجم البلدان، انظر زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون، ص ١٠٥-١٠٠.





( ١١ )

٢٢٢

يشترك في بناء المنشآت الجديدة ، والبعض كان يشترك في تجديد البناء أو زخرفة العمارة ، أو إنتاج تحف فنية نفيسة<sup>(١)</sup> .

وهكذا تعددت أنواع الرحلات ، كما تعددت الأسباب التي قامت من أجلها ، وكان أعظم هذه الرحلات تلك التي قامت للأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج . ورغم ما فيها من صعاب ومشاق واجهتهم أثناء رحلتهم ، ورغم هذه المخاطر تحمل الجميع ذلك رغبة في الأجر والثواب . وكتب الكثير من الرحالة المسلمين في وصف الأراضي المقدسة ، فأنت كتاباتهم بمنافع عظيمة .

وتفوق الرحالة المغاربة والأندلسيين في كتاباتهم عن مكة المكرمة على غيرهم من الرحالة المشارقة ، ويرجع السبب في ذلك إلى ما فطر عليه المغربي من جدية في الاستقصاء ، والصبر على الترحال ، بالإضافة إلى الأمن والاستقرار ، وبناء الأربطة والمنازل على الطرق المؤدية للحج ، والتي أقامها أهل الشرق لاستراحة الحجاج ، بالإضافة إلى احتفائهم بالمغاربة وهم في طريقهم للحج ، ونفكر على سبيل المثال ما أشار به الرحالة البلوي من أن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، جعل مسجد ابن طولون في القاهرة مأوى للغرباء من المغاربة وذلك ليسكنوا فيه ،

---

( ١ ) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٠

كما أجرى لهم الأرزاق فى كل شهر (١) .

وبالإضافة الى ذلك فان تفوق المغاربة على غيرهم من الرحالة المسلمين فى كتاباتهم عن الأماكن المقدسة ، انما يرجع الى رغبتهم الأكيدة - كسائر المسلمين - للذهاب الى تلك البقاع الطاهرة ، والحنين الى مهبط الوحي ، وذلك للارتواء من المنابع السلامية والأخذ بعنق علماء الاسلام المشهورين (٢) . كذلك كانت الرحلة تستغرق منهم فسى معظم الأحيان عامًا كاملاً ذهاباً وإياباً ، فطول هذه المسافة كان يعطى الرحالة فرصة عظيمة ليجمع لديه المادة التى تساعد على أن يؤلف منها مصنفًا كبيراً ، فيصف فيه المدن التى مرّ بها ، وأحوال سكانها ، وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية .

ومن أشهر الرحالة المسلمين الذين تناولوا الكتابة عن مكة المكرمة فى هذه الفترة التاريخية المخصصة للبحث ، الرحالة ابن جبير ، والرحالة العبدري ، والرحالة القاسم التجيبي السبتي ، والرحالة ابن بطوطة ، والرحالة البلوى ، فهؤلاء كتبوا ووصفوا ودققوا فى كتاباتهم عن تلك

---

(١) البلوى ، تاج الفرق ، ج ١ ، ص ٨١-٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٩ .

### البقعة الطاهرة المقدسة من الأرض .

والرحالة ابن جبير هو أبو الحسين محمد أحمد بن جبير، ولد في مدينة بلنسية بالأندلس عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ، وقام بثلاث رحلات الى الشرق ، كانت رحلته الأولى عام ٥٧٨هـ / ١١٨٣م ، وابتعدت هذه الرحلة سنتين وثلاثة أشهر ونصف تقريبا ، أدى فيها ابن جبير فريضة الحج . وكانت رحلته الثانية في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ذهب فيها ابن جبير لمكة المكرمة وأدى كذلك مناسك الحج ، وكانت الحجة الثالثة هي التي جاور فيها بمكة المكرمة ، وتوجه بعدها للاسكندرية ، وتوفي فيها في نفس العام أي عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م .<sup>(١)</sup> وكانت أهم رحلات ابن جبير هي الرحلة الأولى ، دون أخبارها في شبه مذكرات يومية عرفت باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " . وقام ابن جبير من بلده مع صديق له وعبرا البحر الى مدينة سبته في بلاد المغرب متوجهين بحرا الى الاسكندرية فالقاهرة ، ثم توجه ابن جبير عبر النيل لمدينة قوص بالصعيد ، ومنها سافر بطريق الصحراء الى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر ، المواجه لميناء جدة ، وهذا الطريق هو الذي ذاعت شهرته في عالم التجارة في العصور الوسطى ، كما كان لهذا

---

( ١ ) ابن جبير ، المقدمة ، انظر دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ، ص ١١٦ ، نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات ، ص ١٦٧ ، عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته ، ص ٤٥ - ٤٦ .

## (١) الميناء دور هام في تجارة بلاد الحجاز واليمن .

وتعتبر المعلومات التي أوردها الرحالة ابن جبير ذات قيمة عظيمة لموضوع البحث ، إلا أن المعلومات التي أوردها عن الحياة السياسية في مكة المكرمة كانت معلومات قليلة ، ولم تكن وافية بالغرض المطلوب ، بعكس ما أسهب في وصفه للاحتفالات التي كانت تقام في المناسبات الدينية وفي الأعياد ، كذلك في وصفه المفصل للمسجد الحرام ولمناسك الحج والزيارة . ووفق ابن جبير في تدوين أخباره وملاحظاته فكانت ذات شأن كبير في موضوع الرسالة ، كما اتصفت كتاباته أيضا بالصدق والدقة في الرواية .<sup>(٢)</sup>

ومن مشاهير الرحالة الذين كتبوا عن مكة المكرمة في القرن السابع الهجري أبو عبد الله محمد العبدري ، وتدل نسبته " العبدري " على أنه كان من أصل عربي قرشي أي إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب . وكان أجداده يسكنون بلاد جاحة ، وهي قبيلة بربرية تحيط بمدينة الصويرة على شاطئ المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى ، لذا فهو مغربي أصيل يعتز بالمغرب وبأهله .

---

( ١ ) حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢١-٢٢ ، البحر الاحمر في العصر الأيوبي ، ص ١٧ .

( ٢ ) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٧٥-٧٧ .

وقام العبدري برحلته في مقتبل عمره ، وخرج سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ،  
 واتخذ طريقه شمال أفريقية في الرحلة ثم تابع سيره حتى وصل الاسكندرية  
 وبعدها توجه برا حتى العقبة حتى العقبة ثم دخل الى الاراضى الحجازية  
 برا حتى وصل مكة المكرمة . وسمى العبدري رحلته هذه باسم  
 " الرحلة المغربية " وانما قصد بهذا الاسم أنه قطع كل بلاد المغرب ففى  
 طريقه الى بلاد المشرق ، ولم يركب الرحالة العبدري البحر كما فصل  
 الرحالة ابن جبير قبله .<sup>(١)</sup>

وكان الرحالة العبدري دقيق الملاحظة ، رقيق الاحساس ، فاضلا  
 متبحرا في علوم اللغة ، وكان يستعمل اللغة الفصحى ، وكثيرا ما كان  
 يستعمل الشعر بالاضافة الى كونه متضلعا في العلوم الاسلامية صريحا ففى  
 التعبير .

ف  
 وذكر الرحالة العبدري في مقدمة رحلته أنه استعمل الصراحة والانصاف  
 كما أنه اهتم بالناحية العلمية للمدن التى زارها<sup>(٢)</sup> . أما فى وصفه للحياة  
 العلمية لمكة المكرمة فانه يعتذر ، ويشير الى أنه لم يلق بمكة المكرمة شرفها  
 الله من يؤخذ عنه المعلم حيث أنه كان مشغولا بأمور الحج ، لذلك

( ١ ) العبدري ، الرحلة المغربية ، ( مقدمة محمد الفاسى ، ص ٣ ) ، انظر

نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٧٠-١٧١ .

( ٢ ) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٥

فمعلومات الرحالة العبدري لم تكن وافية بالفرض المطلوب عند دراسة الحياة العلمية في مكة المكرمة .<sup>(١)</sup>

وجد ير بالذكر أن العبدري بالرغم من روجه الدينية وورعه وفهمه للدين الاسلامي فهما صحيحا الا أنه كان سليط اللسان ، وكان يحرارب الخرافات ويندد بمعتقداتها<sup>(٢)</sup> . ووصف لنا الكعبة المشرفة وصفا تفصيليا وكذلك المسجد الحرام ، وكانت معلوماته التي أوردها ذات فائدة كبيرة في موضوع الرسالة .

ومن الرحالة المسلمين الذين وصفوا مكة المكرمة والمسجد الحرام أيضا الرحالة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي الذي قام برحلته سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م من بلدته سبته متجها لمصر ومنها الى مكة المكرمة . ولد الرحالة التجيبي السبتي في حدود سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٤١ م ، وحفظ القرآن الكريم ، ودرس كتب التفسير والحديث والفقه والتصوف . ورحلته هذه السبتي أطلق عليها اسم " مستفاد الرحلة والاغتراب " لم تسجل لنا تساويخ بدايته وانطلاقه للأراضي الحجازية ، حيث أن القسم الأول من الرحلة فقد ، وما وجد من رحلته كان بدايتها عند مقابلته لأحد الشيوخ في القاهرة ، وكان ذلك في السادس من جمادى الأولى من عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، لذلك ارتحل كعادة الرحالة المفارفة في قوة شبابه<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر رحلة العبدري ، ص ٢٠٠ .

( ٢ ) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٥٠ .

( ٣ ) التجيبي السبتي ، المقدمة ص ١ .

وأفادت رحلة التجيبي السبتي البحث افادة عظيمة حيث أنها اشتملت على وصف تفصيلي دقيق للكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، وأماكن الزيارة بالإضافة الى ذكره تراجم عديدة للفقهاء والعلماء الذين قابلهم الرحالة وتحدث عن مروياتهم وما سمعه منهم بأسانيد ، وكان أسلوبه سهلاً مبسطاً .

وتوفي الرحالة التجيبي السبتي سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م عن عمر يبلغ الستين سنة .<sup>(١)</sup>

ومن الرحالة المسلمين الذين كتبوا عن مكة المكرمة كتابة أفادت موضوع البحث كثيراً الرحالة الشهير ابن بطوطة . وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ، وقيل الطنجي لانه ولد بطنجة ببـلاد مراكش في السابع عشر من شهر رجب سنة ٧٠٣هـ الموافق الرابع والعشرون من ابريل سنة ١٣٠٣م ولقبه اللواتي نسبة الى لواته احدى قبائل البربر . نشأ ابن بطوطة في بسطة من العيش في مدينة طنجة ، ثم خرج منها بدافع التقوى قاصداً الأراضى المقدسة وهو في الثانية والعشرين من عمره . واستمر ابن بطوطة حوالي ثمانية وعشرين سنة في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة ، لاقى فيها الكثير من المشاق والصعاب . ولم يكتب ابن بطوطة رحلته بنفسه

وانما أملاها على الكاتب الأديب محمد بن جزى الكلبى ، الذى انتهى من كتابتها عام ٢٥٧هـ / ١٣٥٦ م ، وأطلق عليها اسم " تحفة النظارفى غرائب الامصار وعجائب الأسفار " .<sup>(١)</sup>

كشفت رحلة ابن بطوطة عن صفات وعادات وأحوال البلاد التى زارها ، كما أعطتنا وصفا تفصيليا عن مكة المكرمة ، والكعبة المشرفة كما وصف فيها الصفا والمروة ، والأماكن التى يتم فيها مشاعر الحج فى عرفة ومزدلفة ومنى . ووصف ابن بطوطة أيضا أماكن الزيارة بمكة المكرمة ، وأسهب فى وصفه للاحتفالات العظيمة التى كان أهالى مكة يقيمونها فى المناسبات الدينية . كما وصف فضائلهم وعاداتهم وكرمهم وحسن مجاورتهم للغريباء .  
وتوفى ابن بطوطة سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨ م<sup>(٢)</sup>

ومن الرحالة المسلمون الذين كتبوا عن مكة المكرمة فى هذه الحقبة التاريخية موضوع الدراسة ، الرحالة أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم البلوى ، الذى ولد فى قنطورية بالأندلس<sup>(٣)</sup> سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣ م وكان والده قاضيا بها . وينتمى البلوى الى قبيلة البلويين المنتشرة فى عدة

---

( ١ ) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣٥ ، نقولا زيادة الجغرافيه والرحلات ، ص ١٨٧ ، دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ١ ، ص ٩٩-١٠١ .  
( ٢ ) دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ١ ، ص ٩٩-١٠١ .  
( ٣ ) قنطورية : بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية تقع على نهر المنصورة ، على مقربة من بلدة المنصورة ، انظر البلوى ، المقدمة ، ص ٢٥ .



بلاد اسلامية كالمغرب والاندلس ، وهي قبيلة عربية .

نشأ البلوى فى أسرة علمية متدينة حيث تلقى تربية صالحة عن والده بقنطورية ، وعن علماء فاس حتى أصبح من رجال الفقه والأدب . ثم رحل البلوى للشرق سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م عندما كان شابا فى مقتبل العمر كعادة الرحالة المغاربة ، وتملك قلبه حب التنقل والأسفار حتى صار يألف بسهولة الاندماج فى كل البيئات . وكان يستعين على سفره الطويل بقصائد يمدح بها الحكام والأمراء فينال أعطياتهم كما فعل قبله الرحالة ابن بطوطة .<sup>(١)</sup>

وكان الرحالة البلوى صادقا أميناً ، لا ينافق ولا يخادع ، كما كان يثق كثيرا بالناس ، كما كان وديعا ويتحب الى العلماء والفضلاء وذوى الجاه ويستفيد منهم<sup>(٢)</sup> . واشتغل البلوى بالقضاء بقنطورية وغيرها ، وكان منصب القضاء من أهم الوظائف بالاندلس ، لم يشغله الا كبار العلماء . كما أهله مواهبه الأدبية ليشغل بوظيفة كاتب بتونس وكان ذلك سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م ، كما اشتغل البلوى كذلك بوظيفة التدريس بالاسكندرية وذلك أثناء اقامته بمصر .<sup>(٣)</sup>

وقام البلوى برحلته الأولى لمدينة فاس ، وكان الغرض منها الدراسة . ثم ارتحل للمرة الثانية متوجها الى الأراضى الحجازية لاداء فريضة الحج

( ١ ) البلوى ، تاج المفرق ، ج ١ ، ص ٣٧ .

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

( ٣ ) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وارتحل ثالثا الى شرق الاندلس وفي رحلته الثانية ألف البلوى كتابه ، وأطلق عليه اسم " تاج المفرق فى تحليلية علماء المشرق " ، وتعتبر رحلته ذات قيمة كبرى لموضوع البحث .

وكان خط سير رحلة البلوى للأراضى الحجازية عن طريق القاهرة ، فدخلها فى سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م أثناء سلطنة الناصر محمد بن قلاون ، ثم خرج البلوى من القاهرة متوجها الى فلسطين ووصل الى الكرك ومنها الى تبوك ومنها للمدينة المنورة وبعدها دخل مكة المكرمة .<sup>(١)</sup>

هذا وهناك ظاهرة هامة يجدر الاشارة اليها ، وهى أن معظم الرحالة المسلمين وصفوا الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وكذلك المشاعر المقدسة وأماكن الزيارة ، وذلك فيما كتبوه وسجلوه فى رحلاتهم . أما الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك الثقافية فلم تحظ بالكثير من اهتمام الرحالة ، ومن ثم فلم يتحدثوا عنها حديثا مفصلا .

والواقع أن مثل هذا الاسهاب فى وصف الكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمشاعر المقدسة والايجاز فى المعلومات السياسية والاقتصادية وغيرها ، إنما يؤكد لنا الأسلوب والمنهج الذى اتخذه وسار عليه معظم الرحالة الذين ارتحلوا الى الحجاز فى الفترة التى تقع بين القرنين السادس

والتاسع للهجرة موضوع بحثنا . لذلك كان لابد من الاستعانة - فى بعض الأحيان - بالمصادر الأساسية التى تناولت تاريخ مكة السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فالرحالة عادة يسهبون ويفيضون فى وصف الأشياء التى تستهويهم أو تشد اعجابهم ، بينما يهتمون بموضوعات على جانب كبير من الأهمية اذا كانت معروفة لهم ، ومطروقة لديهم . لذلك كان لزاما على أن ألجأ الى المصادر والمراجع التاريخية التى تناولت تاريخ مكة المكرمة حتى أكمل الصورة التى أعطى الرحالة بعض تفصيلاتها ، ولأسد ثغرة لم ير الرحالة ضرورة فى تناولها ، أو فاتت عليه دون قصد .

ويحتوى البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، أما المقدمة فقد أشارت - كما رأينا - الى المكانة العظيمة لمكة المكرمة فى نفوس المسلمين ، وأنواع الرحلات التى قام بها الرحالة المسلمون ، وأسباب تفوق الرحالة المغاربة عن غيرهم من الرحالة المسلمين فى كتابة الرحلات ، وأشهر الرحالة الذين تناولوا الكتابة عن مكة المكرمة من بداية القرن السادس الهجرى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى .

واحتوى الفصل الأول من البحث على وصف للكعبة المشرفة وبيت الله الحرام من واقع كتابات الرحالة المسلمين . وأشار الى بناء الكعبة المشرفة وفضائلها ، وارتفاعها ، وذرعها . وألقى الفصل الاول أيضا الضوء على وصف للحجر الأسود ، ولباب الكعبة المشرفة ، وحجر اسماعيل عليه الصلاة والسلام

والميزاب ، وموضع الطواف . ثم انتقل الحديث الى وصف الكعبة المشرفة من الداخل ، والكسوة الشريفة وتاريخها ، ومقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويثر زمزم المباركة ، وانتقل الحديث بعد ذلك الى وصف المسجد الحرام وذكر أبوابه ، وسواريه ، وصوامعه ، ثم وصف الصفا والمروة كما ورد فى كتب الرحالة المسلمين . ثم أشار الفصل الى بعض أماكن يستحب زيارتها بمكة المكرمة ، وانتقل بعدها لوصف الشعائر المقدسة والمناسك فى كل من عرفة ومزدلفة ومنى .

أما الفصل الثانى فموضوعه امارة مكة فى كتب الرحالة المسلمين . ويبحث هذا الفصل موضوع امرة مكة المكرمة ، كما ناقش المعلومات التاريخية التى أوردها الرحالة المسلمون لآحوال أم القري أثناء ولاية الأمير مكشـر ( ٥٧١-٥٩٧ هـ / ١١٧٥-١٢٠٠ م ) والامير أبى نمى ( ٦٥٣-٧٠١ هـ / ١٢٥٥-١٣٠١ م ) وأثناء ولاية الأمير سيف الدين عطيفة ، والامير أسد الدين رميثة بعد سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م . ثم بحث الفصل الثانى موضوع نظام القضاء فى مكة المكرمة ، كما ورد فى كتابات الرحالة المسلمين ، خاصة طريقة تعيين القضاة وصرف مرتباتهم ومهامهم وأشهر القضاة الذين وردت أسماؤهم فى كتب الرحالة المسلمين .

وموضوع الفصل الثالث من الرسالة هو الآحوال الاقتصادية فى مكة المكرمة

كما وردت في كتب الرحالة المسلمين . ويحث هذا الفصل الموارد المالية وغيرها التي اعتمدت عليها مكة المكرمة في اقتصادها مثل نفقات الحجاج ، والخيرات التي كانت تصل الى سكانها مع جماعة السرو اليمنيين ، والمكوس التي كانت تفرغ على الحجاج والتجار وغيرهم ، هذا فضلا عن صدقات بعض السلاطين والأمراء والمحسنين من الناس . وانتقل الفصل بعد ذلك لدراسة بعض منشآت الأوقاف التي خصصت مواردها المالية للنفقة على أوجه الخير في مكة المكرمة . وألقى هذا الفصل الضوء أيضا على الطرق التجارية المؤدية الى مكة المكرمة ، وخاصة القادمة من جدة ، وأنواع المتاجر الواردة الى العاصمة المقدسة ، وأسواق مكة المكرمة ، والعملات التي كان يتعامل بها أهالي مكة ، والمقاييس والمكاييل . وناقش الفصل موضوع الحرف التي كانت سائدة في مكة المكرمة في ذلك الوقت والتي ذكرها بعض الرحالة المسلمين .

أما الفصل الرابع فقد بحث موضوع الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين . ودرس هذا الفصل فضائل وأخلاق سكان مكة ، وحسن مجاورتهم للغرباء وعطفهم على الفقراء والمساكين ، كذلك أشار البحث الى الطبقات التي تكون منها المجتمع المكي ، وأنواع الأطعمة والأشربة التي كان يتناولها أهالي مكة المكرمة والتي ذكرها الرحالة المسلمون وألقى البحث الضوء على الاحتفالات التي كانت تقام في جميع المناسبات الدينية في مكة المكرمة والأربطة التي ذكرها الرحالة المسلمون في كتاباتهم .

وناقش الفصل الخامس والأخير من هذا البحث موضوع الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة في ضوء كتابات الرحالة المسلمين. وأشار الفصل الى حلقات الدروس التي كانت تقام في المسجد الحرام ، والى جماعات القراء والوعاظ ومجاوري الحرم . واحتوى هذا الفصل على دراسة تاريخية للمدارس التي كانت بمكة والتي ذكرها الرحالة كما أشار البحث الى مشاهير العلماء والفقهاء الذين قابلهم الرحالة ، والذين كان لهم دور في نشر العلم والثقافة في مكة المكرمة فيما بين القرنين السادس والتاسع للهجرة .

أما الخاتمة فانها احتوت على أهم النتائج التي توصل لها البحث .

ولا يسعني في نهاية المقدمة الا أن أتقدم بالشكر العميق والعرفان بالجميل لكل من مَدَّ يد العون والمساعدة لي ، وأخص بالشكر أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع لما بذله من جهد كبير ، فانه لم يدخر وسعا ، ولم يأل جهدا بتزويدي بالارشادات والنصائح والتوجيهات التي استفدت منها كثيرا في بحثي هذا ، جزاه الله عني وعن طلابه وطالباته خير الجزاء .. والله ولي التوفيق .

الطالبة

# الفصل الأول

الحرم المكي والمشاعر المقدسة في كتب الرحالة المسلمين

- ★ الكعبة المشرفة
- ★ الصفا والمروة
- ★ المساجد والمزارات بمكة المكرمة
- ★ جبل الرحمة ومنزلة لفة ومنى

مكة المشرفة هي بلد الله الآمن ، التي تتجه اليها أنظار المسلمين جميعا ، وتتشوق أنفسهم بزيارتها ، ذلك لأنها مقرا لبيتسه الطاهر التي يتجه اليه المسلمون في صلاتهم ، قال تعالى : " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولتوا وجوهكم شطره " . (١)

وتقع الكعبة المشرفة في وسط المسجد الحرام ، كما أشار الرحالة ابن جبير وغيره ، فذكر ابن جبير قائلا : " ومن آيات البيت العتيق أنه قائم وسط الحرم كالبرج المشيد وله التزييه الأعلى " . (٢)

وفي وصف الكعبة المشرفة قال الرحالة ابن جبير " فألفينا الكعبة البيت الحرام عروسا مجلوة مزفوفة الى جنة الرضوان ، محفوفة بوفود الرحمن " . (٣) ووصفها ابن بطوطة قائلا : " وشاهدنا الكعبة الشريفة

---

( ١ ) سورة البقرة : آية ١٤٩

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٧٥ ، ابن بطوطة ، ١٣٢٠ ، انظر / المقدس ، أجسن التقاسيم ، ص ٦٨-٧٤ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٦٠٥ ، الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ١٣-١٥ ، الحميري ، الروض المعطار ص ٩٣ ، محمد كامل حته ، في منزل الوحي ، ص ٨٢ ، محمود شرقاوى مكة المكرمة ص ٢١ ، محمود الباحي ، وفد الله الى حرمة الآمن ص ١١٩ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٧٥ .



زادها الله تعظيما ، وهى كالعروس تتجلى على منصة الجلال ، وترفل  
فى برود الجمال ، محفوفة بوفود الرحمن ، موصولة الى جنة الرضوان <sup>(١)</sup> .

وللكعبة المشرفة عدة أسماء منها البنية ، وهو لسم مشتق من  
البناء ، كما يقال لها أيضا البيت العتيق . <sup>(٢)</sup> ومن أسمائها الكعبة ،  
وسميت بذلك لأنها قريبة من التريم ، وأن كل بناء مربع يقال له كعبة ،  
وقيل سميت بذلك لاستطالة بنائها وعلوه <sup>(٣)</sup> ، ومن أسمائها أيضا نادر  
والقرية القديمة وقادس <sup>(٤)</sup> . وأشار الرحالة البلوى بأنها سميت بكبة  
لأنها تبك أعناق الجاهرة وتقطعهم ، وقيل لأن الناس يتكئون فيها  
أى يزدهمون بها فى أيام الحجيج . <sup>(٥)</sup>

والكعبة المشرفة مبنية من الحجارة الكبار الصم ، رصت فوق بعضها  
البعض ، وألصقت الصاقا وثيقا لا تغيره الأيام ، ولا يؤثر فيه

- 
- ( ١ ) ابن بطوطة ص ١٣٠ .  
( ٢ ) العبدري ، ص ١٨٠ ، انظر محمود الباحى : وفد الله الى حرمة الآمن ، ص ١٣٣  
( ٣ ) التجيبى السبتي ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ، انظر ابن الجوزى ، منير الفغرام  
الساكن ، ورقة ٩٩  
( ٤ ) التجيبى السبتي ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ، انظر محبالدين الطبرى ، القرى لقاصد  
أم القرى ، ص ٣٤٠  
( ٥ ) البلوى ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، انظر ابن الجوزى ، منير الفغرام ،  
الساكن ، ورقة ٩٣/٨٢ .

## الزمان . (١)

وللكعبة المشرفة فضائل وعجائب كثيرة ، منها ما هو ثابت في القرآن الكريم وفي السنة المحمدية ، وأشار الرحالة ابن جبير وغيره أن من فضائل البيت الشريف أنه لا يخلو من طائف أبدا ليلا ولا نهارا ، ولم يجد أحدا يذكر أنه رآه خاليا دون طائف <sup>(٢)</sup> . ومن عجائب هذا البيت أن النظر إليه عبادة ، كما أن فيه ثواب ورحمة <sup>(٣)</sup> ، ومن فضائله أن الصلاة لا تكرر فيها في أى وقت من الأوقات <sup>(٤)</sup> .

وأشار التجيبي السبتي أيضا أن من فضائل البيت ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " من طاف بهذا البيت لم يرفع قدما ولم يضع أخرى الا كتب له الله بها حسنة ، وحطت بها خطيئة <sup>(٥)</sup> " .

- 
- (١) ابن جبير ، ص ٧٥ ، العبدري ، ص ١٧٨ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٣ ،  
البلوى ج ١ ، ص ٣٠١ ، انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير فسى  
رحلته ، ص ١٧٤ ، محمود الباحى ، وفد الله الى حرمة الآمن ص ١٢٤ .  
(٢) ابن جبير ، ص ٧٥ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٧٩ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٤ .  
(٣) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .  
(٤) ابن علان ، مشير شوق الانام ، ورقة ١٤٠ .  
(٥) التجيبي السبتي ، ص ٢٧٩ ، وهو حديث صحيح للنسائي والترمذى ،  
انظر محمد بن محمد بن سليمان ، جمع الفوائد ، ج ١ ، ص ٤٧٨ . انظر ابن  
علان ، مشير الانام ، ورقة ٢٠٩ .

كما أن من فضائل هذا البيت ما خصه الله تعالى بوجود ماء زمزم المبارك ،  
وما خصه الله من المنافع والفوائد . (١)

والكعبة المشرفة مرتفعة في الهواء ، ومقدار ارتفاعها يبلغ تسعة  
وعشرين ذراعا من جهة الحجر الأسود حتى الركن اليماني ، أما الجوانب  
الثلاثة الأخرى فيبلغ ارتفاعها ثمانية وعشرون ذراعا ، وهذا الانخفاض  
البسيط لانزلاق ماء المطر (٢) . وانفرد الرحالة العبدري عندما ذكر بيان  
طول الكعبة المشرفة ثلاثون ذراعا . (٣)

أما عن ذراع الكعبة المشرفة فإنه يبلغ من الركن الذي به الحجر  
الأسود حتى الركن العراقي أربعة وخمسين شبرا ، ومن الركن العراقي  
الى الركن الشامي يبلغ ثمانية وأربعين شبرا داخل الحجر . أما  
المسافة من خارج الحجر فتبلغ أربعين خطوة وهي مائة وعشرون شبرا ،  
ومن الركن اليماني أربعة وخمسون شبرا ، ومن الركن اليماني الى

---

(١) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٥

(٢) ابن جبير ، ص ٥٩ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٥٨ ، ابن بطوطة

ص ١٣٣

(٣) العبدري ، ص ١٧٨ .

## (١) الركن الأسود ثمانية وأربعون شبراً .

وتحدث الرحالة ابن جبير وغيره عن الحجر الأسود المبارك ،  
 وذكروا بأنه ملصق في ركن الكعبة الشريفة المتجه الى جهة المشرق <sup>(٢)</sup> .  
 وتبلغ المسافة بين الحجر الأسود والأرض ستة أشبار ، لذلك فالطويل  
 من الناس ينحنى حتى يصله أما القصير منهم فانه يتناول حتى يلحقه ، وقيل  
 ان ارتفاعه أقل من قامة . <sup>(٣)</sup>

وأشار ابن جبير وغيره من الرحالة بأن عرض الحجر الأسود يبلغ  
 ثلثي شبر ، وطوله شبر ، وتوجد به أربع قطع ملصقة ، يقال أن القرمطي  
 لعنه الله كسره فتبادر الناس الى قتله ، كما قتل بسببه كثير من الناس . <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابن جبير ، ص ٦٣ ؛ ابن بطوطة ، ص ١٣٣ ، البلوى ، ج ١ ص ٢٩٨ ؛  
 وذكر الازرقى بأن ذراع الكعبة من الركن الأسود الى الركن الشامي خمسة  
 وعشرون ذراعاً ، وذراعها من الركن اليماني الى الركن الغربي خمسة وعشرون  
 ذراعاً ، وذراعها من الركن الأسود حتى الركن اليماني عشرون ذراعاً ، ومن  
 الركن الشامي الى الركن الغربي واحد وعشرون ذراعاً ، فذراع الكعبة اربعمئة  
 ذراع وشمانية عشر ذراعاً ، انظر الازرقى ، أخبار مكة ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .  
 (٢) ابن جبير ، ص ٦٣-٦٦ ؛ انظر المقدس ، أحسن التقاسيم ، ص ٦٨-٧٤  
 (٣) ابن جبير ، ص ٦٣-٦٦ ؛ البلوى ، ج ١ ص ٢٩٨  
 (٤) ابن جبير ، ص ٦٦ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٧١ ؛ ابن بطوطة  
 ص ١٣٥ .

وذكر الرحالة التجيبي السبتي قصة القرامطة ، وهي أن عدو الله  
أبا طاهر سليمان ابن أبي سعيد الحسن الجنابي القرمطي ، دخل مكة  
المكرمة في يوم الاثنين الموافق الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة  
٣١٧هـ / ٩٢٩ م ثم دخل المسجد الحرام ، وقتل فيه حوالي ألف وسبعمائة  
ما بين رجال ونساء ، وهم معلقون بأستار الكعبة المشرفة ثم ردم بهم  
زمزم ، ثم أمر بقطع الحجر الأسود ، وحمله الى بلاده هجر ، وبقي هناك  
الى أن رد في سنة ٣٢٩هـ / ٩٥٠ م (١)

كما ذكر الرحالة التجيبي السبتي أيضا حادثة أخرى للحجر الأسود  
حدثت في سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢ م ، عندما قام رجل سوء من كانوا في قافلة  
الحج ، فانتهاز فرصة انشغال الناس بصلاة الظهر بالمسجد الحرام فقصده  
الحجر الأسود ، وضربه عدة ضربات طارت منها ثلاث قطع من وسطه ، ثم  
ولى هاربا جهة المسعى ، فلحقه الناس وقتلوه في مكانه ، ثم ردت القطع  
في مكانها ثانية ، ثم شد الحجر وطوق بالفضة الخالصة من جميع  
جوانبه . (٢) وذكر الفاسي هذا الحادث في حوادث سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣ م  
وأشار بسنن الحجاج في تلك السنة تعرضوا للسلب والنهب في مكة وفي

---

( ١ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٧١ ، والقرامطة هم أصحاب دعوة انتشرت في  
بعض البلاد الاسلامية في عام ٩٠١ م بزعامة أحد الاسماعيليين زعزت العالم  
الاسلامي ، وكان على رأسها داعيا يسمى حمدان ولقبه " قرمطي " أي أحمر  
العينين . انظر الازرقى اخبار مكة ، ج ١ ، ص ٣٤ ، أحمد السباعي ، تاريخ

مكة ص ١٥٣  
( ٢ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٧١-٢٧٢

خارجها ، والسبب أن بعض الملحد ين تجراً على الحجر ، وضربة ثلاث ضربات بدهوس ، فقتل ، وقطع ، وأحرق كذلك قتل ممن اتهم في معاونته .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير بوجود نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كالشامة في القطعة الصحيحة من الحجر ، ما يلي جانبه الذى يلي يمين المستلم له اذا وقف مستقبله . كما أشار أيضا ابن جبير بأنه يجب على المقبل أن يقصد بتقبيله موضع الشامة المذكورة ما استطاع .<sup>(٢)</sup> وأضاف الرحالة بأن للحجر الأسود عند تقبيله لدونه ورطوبة ، يتنعم بها الغم ، حتى أن اللاثم لا يود أن يبارحه ، وهذه خاصية من خواص العناية الالهية ، ويكفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انه يمين الله في أرضه"<sup>(٣)</sup>

وللحجر الأسود فضائل عديدة ، منها ما أشار به الرحالة البلوى عندما أثبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحجر الأسود والركن اليماني ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا ما طمس الله من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب "<sup>(٤)</sup> وأشار أيضا الرحالة البلوى الى حديث

( ١ ) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٨٦-١٨٧

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٦٧ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٦٧ ، ابن بطوطة ص ١٣٥-١٣٦ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، وهو حديث صحيح ، انظر محمد بن سليمان ، جمع الفوائد ، ج ٢ ،

ص ٥١٢ .

( ٤ ) البلوى ج ١ ، ص ٢٩٩ ، انظر أحمد محمد الاسدى ، أخبار الكرام ، ورقة ١١ ، ابن الجوزى ، مشير الغرام الساكن ، ورقة ١٠٧ ، وهو حديث صحيح ، انظر

محمد بن سليمان ، جمع الفوائد ، ج ١ ، ص ٥١٢ .

ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 " والله ليبعثه الله يوم القيامة له عيانان يبصر بهما ولسان ينطق على  
 من استلمه بحق " .<sup>(١)</sup>

ويقع باب الكعبة المشرفة فيما بين الركن العراقى وركن الحجر  
 الأسود ، الا أنه يكون أقرب جهة الحجر الأسود ، وتبلغ المسافة بينهما  
 عشرة أشبار وهذا المكان يسمى الملتزم . ويبلغ ارتفاع باب الكعبة الشريفة  
 عن الأرض مقدار أحد عشر شبرا ونصف .<sup>(٢)</sup> وباب الكعبة مصنوع من فضة  
 مذهبة زمن ابن جبير ، وعتبته العليا لها لوح مصنوع من الذهب ، تبلغ  
 سعته مقدار شبرين ، كما أن الباب مكون من صفحتين ، وعليه نقش بالذهب  
 وحروفه واضحة رائعة تجلب اليه الأنظار ، ومكتوب عليه ما نصه : " مما  
 أمر بعمله عبد الله وخليفته الامام أبوعبد الله محمد المقتدى لأمر الله  
 أمير المؤمنين ، صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين وخلد ميرات  
 النبوة لديه وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين فى سنة خمس مائة  
 وخمس مائة " .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) البلوى ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، انظر : أحمد محمد الأسدى ، أخبار الكرام ، ورقة ١١

( ٢ ) ابن جبير ص ٦٠-٦٩ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٢٩٨-٣٠٠

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٦٠-٦٩ ، والمقتدى هو الخليفة العباسى أبوعبد الله محمد

ابن المستظهر بالله تولى الخلافة سنة ٥٣ هـ وتوفى فى آخر صفر سنة ٥٥ هـ

انظر شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٩٧ .

ولباب الكعبة الشريفة نقارتان كبيرتان من الفضة ، يتعلق عليهما قفل الباب ، كما أن سعة الباب تبلغ ثمانية أشبار ، وطوله يبلغ ثلاثة عشر شبرا ، وسك الحائط الذى عليه الباب خمسة أشبار<sup>(١)</sup> . وذكر ابن جبير بأن باب الكعبة المشرفة يفتح كل يوم اثنين وكل يوم جمعة فيما شهدا شهر رجب فانه يفتح كل يوم .

أما ابن بطوطة فذكر بأن باب الكعبة المشرفة يفتح كل يوم جمعة ، كما يفتح فى اليوم الذى ولد فيه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، بالإضافة الى أنه يفتح فى أيام موسم الحج للعراقيين والخراسانيين وغيرهم ممن يصل مع الركب العراقى ، وذلك بعد سفر الركبين الشامسى والمصرى ، لأنهم يقيمون بحكمة المكرمة حوالى أربعة أيام<sup>(٢)</sup> .

أما عن الوقت والطريقة التى يفتح بها باب الكعبة المشرفة كما أشار اليها الرحالة ابن جبير وغيره ، فهى تتم فى الصباح الباكر عند بزوغ الشمس وذلك من قبل سدنة البيت ، فيأخذ أحدهم كرسيًا كبيرًا ، واسع الحجم شبيهًا بالمنبر ، له تسعة أدراج مستطيلة ، وضعت له قوائم خشبية ولها عجلات كبار مصفحة بالحديد ، يجرى عليها الكرسي و حتى يصل الى باب

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٠-٦٩ ، التجيبى السبتي ، ص ٢٥٩ ، البلوى ج ١ ، ص ٣٠١

( ٢ ) ابن بطوطة ، ص ١٧١



الكعبة الشريفة ، ويكون درجة الأعلى متصلا بالعتبة المباركة من الباب . ثم يصعد زعيم الشيعة اليه وصحبته بعض السدنة ، ويكون معه مفتاح الكعبة ويمسك أحد السدنة ستارة باب الكعبة ، ثم يفتح الزعيم الباب ، ويقبل العتبة الشريفة ، ثم يدخل منفردا ، ويسد خلفه الباب ، ثم يصلى ركعتين ثم يدخل بعده الشيعة ويصلون ركعتين ، وذلك بعد أن يسنّوا الباب خلفهم . وبعد ذلك يفتح باب الكعبة المشرفة لعامة الناس ، فيبادرون في الدخول منادين : " اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين " .<sup>(١)</sup>

وعرف الرحالة ابن جبير وغيره السدنة بأنهم من قبيلة بني شبيعة ، وهي إحدى القبائل العربية المشهورة ، وهم بنو شبيعة بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، حيث يجتمع نسبهم مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام هو الذي أعطاهم مفتاح الكعبة ، حيث ناوله لعثمان بن طلحة يوم الفتح ، وقال : " خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لا يأخذها منكم الا ظالم " .<sup>(٢)</sup>

أما عن الملتزم فهو المكان الذي يقع بين الحجر الأسود وبين باب

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٩-٧١ ؛ ابن بطوطة ، ص ١٣٣-١٣٤ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٧٦ ؛ التيجاني السبتي ، ص ٢٦٠-٢٦١ ؛ انظر العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٠٣ .

الكعبة الحظيمة وسعى بالملتزم لا لتزامه الدعاء كما سعى بالمتعوز<sup>(١)</sup> . وأشار  
الرحالة التجيبي السبتي وغيره بأن الملتزم هو موضع وقوف الحجاج  
والمعتمرين والمجاورين للدعاء وكذلك المكيين وجميع القادمين عليهم<sup>(٢)</sup> .  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال :  
الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعـوـة  
الا استجابها<sup>(٣)</sup> .

وحجر اسماعيل عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما أخبرنا به رنـبـالـة  
القرن الخامس الهجرى ناصر خسرو ، الذى ارتحل من بلدة مرو بخراسان  
الى الأراضى الحجازية فى سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م ، هو خارج الكعبة  
المشرفة مابين الركن العراقى والركن الشامى ، ويحيط به جدار على  
شكل نصف دائرة ارتفاعه يبلغ حوالى ذراع ونصف ، وتتصل نهايته بركنى  
الكعبة المشرفة ، وأرضه مفروشة بالرخام الملون المنقوش ، ويصب فيه ماء  
الميزاب وموضوع تحته قطعة من الحجر الأخضر على شكل محراب وتتسع  
لصلاة الفرد<sup>(٤)</sup> .

ولحجر اسماعيل مدخلان ، أحدهما جهة الركن العراقى والآخر

- 
- (١) ابن جبير ، ص ٦٠  
(٢) التجيبي السبتي ، ص ٢٧٦ ؛ ابن بطوطة ، ص ١٣٣ ؛ البلوى ج ١ ص ١٣٣ ،  
محمد كامل ، صور من الحجاز ، ص ١٤ ، ١٥ ، عباس كرامة تاريخ الحرمين ص ١١١  
(٣) التجيبي السبتي ، ص ٢٧٦ ؛ ابن بطوطة ص ١٣٣ ؛ البلوى ، ج ١ ، ص  
٢٩٩ ؛ انظر ايضا الأزرقى ، اخبار مكة ، ج ١ ، ص ٣٤٧  
(٤) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٤

جهة الركن الشامي وأن المسافة التي بينهما تبلغ ثمانية وأربعين شبرا من داخل الحجر ، أما من خارجه فتبلغ مائة وعشرين شبرا ، أما الطواف فيكون خارج هذا الحجر <sup>(١)</sup> ، وهذا المكان هو الذي لم تحجر عليه قريش وتركته خارج الكعبة ، وسمى بذلك الاسم لأنه حجر من البيت . <sup>(٢)</sup> ويبلغ ارتفاع هذا الحجر خمسة أشبار ونصف وعرضه أربعة أشبار ، وبداخله بلاط كبير ينعطف عليه الحجر كأنه ثلثا دائرة . <sup>(٣)</sup> وفي صحن هذا الحجر وتحت ميزاب الرحمة ، قبر اسماعيل عليه السلام ، وعلامته رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب ، كما تتصل بها رخامة خضراء مستديرة والتي جانبها مما يلي الركن العراقي ، قبر أمه هاجر رضى الله عنهما ، وعلامته رخامة خضراء سمعتها مقدار شبر ونصف ، وتبلغ المسافة التي بين القبرين سبعة أشبار ، ويتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر . <sup>(٤)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٦٣ ، انظر ابن رسته ، العلاقات النفيسة ، ص ٣٦-٣٩ .

(٢) ابن جبير ، ص ٦٣ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٨٠ ، انظر ابن علان ، مثير شوق الانام ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٣) ابن جبير ، ص ٦٤ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٧ .

(٤) ابن جبير ، ص ٦٤ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ، انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٥ .

وذكر الرحالة ناصر خسرو بأن ميزاب الكعبة المشرفة يكون فى أعلى الحائط الشمالى ، ويبلغ طوله ثلاثة أذرع ، وجميعه مطلق بالذهب<sup>(١)</sup> وأضاف بعض الرحالة بأن الميزاب يخرج الى الحجر بمقدار أربعة أذرع ، وعرضه يبلغ مقدار شبر ، ويقابله فى الأرض رخامتان خضراوان يسقط عليهما ماء المطر من هذا الميزاب .<sup>(٢)</sup>

أما موضع الطواف فهو حول الكعبة المشرفة ، وأشار الرحالة ابن جبير وغيره بأن أرضه مفروشة بحجارة ملصقة بعضها ببعض ، ولونها أبيض وأسود ، ومقدار سعتها تبلغ تسع خطوات فيما عدا الجهة المقابلة للمقام فهى متصلة حتى المقام ، أما سائر الحرم فأرضه مفروشة برمل أبيض ، وطواف النساء يكون فى آخر هذه الحجارة المفروشة .<sup>(٣)</sup> وذكر الرحالة البلوى بأن موضع الطواف - فى عصره - مفروش بالرخام البديع ، وطواف النساء يكون فى آخر الرخام المفروش ، والمنقوش بنقوش جميلة ، مرصعة ومنمقة تنمى بديعا ومكتوب ما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم - أمر بعمارة المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الأعظم ، المفروض الطاعة على سائر الأم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، بلغه الله

- 
- (١) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٤ ، انظر محمود الباجى ، وفد الله الى حرمه الآمن ، ص ١٧٤ .  
 (٢) ابن جبير ، ص ٦٤ ، التجيبى السبتي ، ص ٢٨١ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٥ ، البلوى ، ص ٤٠٣ ، انظر عباس كرامة ، تاريخ الحرمين الشريفين ، ص ٨٥  
 (٣) ابن جبير ، ص ٦٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٧

آماله وزين بالصالحات أعماله ، وذلك في شهر سنة احدى وثلاثين  
وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله .<sup>(١)</sup>

وفي حديث الرحالة ابن بطوطه عن الطواف يشير بأنه يبدأ من  
عند الحجر الأسود ، وهو أول الأركان التي يلقاها الطائف من أركان  
الكعبة المعظمة ، ثم يتقهقر الطائف قليلا ، ويجعل الكعبة الشريفة عن  
يساره ، ثم يتم طوافه ، فيلقى الركن العراقي بعده وهو متجه نحو الشمال  
ثم يلقى بعد ذلك الركن الشامي وهو يتجه نحو الغرب ثم يلقى بعد ذلك  
الركن اليمني وهو يتجه الى جهة الجنوب ، ثم يعود بعدها الى ركن  
الحجر الأسود المتجه نحو الشرق .<sup>(٢)</sup>

---

(١) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ، والمستنصر بالله هو الخليفة العباس أبو  
جعفر منصور ابن الظاهر بأمر الله تولى الخلافة سنة ٦٣٦ هجرية  
١٢٣٨ ميلادية ، وتوفي سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م وحزن عليه الناس  
حزنا شديدا لحسن سيرته وجوده وكرمه وعدله . انظر: ابن  
العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٠٦

(٢) ابن بطوطه ، ص ١٣٦ ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ صفحة

أما داخل الكعبة المشرفة ، فأرضها مفروشة بالرخام ، وكذلك جميع  
 حيطانها . ويرتكز سقف الكعبة المشرفة على ثلاثة أعمدة من خشب الساج <sup>(١)</sup> . وتو<sup>جد</sup>  
 مسافة أربع خطوات بين كل عمود وآخر ، وأحد هذه الأعمدة يقابل نصف  
 الجدار الذى يحف به الركن اليماني وركن الحجر ، والذى ان يسميان الركنين  
 اليمانيين ، والمسافة التى بينه وبين جدار الكعبة تبلغ ثلاث خطوات <sup>(٢)</sup> . وللكعبة  
 الشريفة خمسة مضاوى ، يغطيها زجاج منقوش بنقوش بديعة الشكل ، أحدهما  
 فى وسط السقف ، ومع كل ركن مضواً ، كما يوجد بين هذه الأعمدة كؤوس من  
 الفضة ، يبلغ عددها ثلاث عشرة واحدى هذه الكؤوس مصنوعة من الذهب <sup>(٣)</sup> .

ونذكر ابن جبير بأن الداخل للكعبة المشرفة أول ما يلقى على يساره  
 الركن الذى يقابله من الخارج ركن الحجر الأسود ، ويوجد به صندوقان  
 فيهما مصاحف ، كما يوجد فى الركن فى أعلاهما بويبان مصنوعان من  
 الفضة كأنهما طاقان ملصقتان بزاوية الركن ، وبينهما وبين الأرض مسافة تبلغ أكثر

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٠-٦٢ ، العياشى ، الرحلة ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، انظر عباس  
 كرامة ، تاريخ الحرمين ، ص ٥٧ ، محمود الباجى ، وفد الدمالى حرماً لآمن صغلا  
 وشجرة الساج شجرة كبيرة ، ذات أوراق عريضة ، توجد فى الجهات الجافة  
 فى أقصى الهند ، وفى شرق افريقية ، وخشبها لا يتأثر بالمياه ، ويعتبر من  
 الأزمنة القديمة من أحسن الأخشاب لبناء السفن ، ولا تأكل الحشرات خشب  
 الساج . دائرة المعارف الاسلامية ج ١٩ ، ص ٣٦ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٦٠-٦٢ ، ابن بطوطة ص ١٣٤ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠١ ، انظر  
 الورتيلانى ، الرحلة ، ص ٣٩٧ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٦٠ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

من قامة ، ويليه الركن اليماني ، الا أنه لم يبق فيه الا العمود ولا أثر للطاقيين ، ويليه الركن الشامي ، وما زال فيه الطاقين ، ويعدّها الركن العراقي ، وهه طاقيين ، وكذلك يوجد به باب يسمى باب الرحمة وهو الذي يصعد منه الى سطح البيت .<sup>(١)</sup>

وكانت الكعبة المعظمة تكسى في الجاهلية كما كانت تكسى فسى الاسلام<sup>(٢)</sup> . وأشار الرحالة ناصر خسرو بأن لون كسوة الكعبة المشرفة كان من اللون الابيض ، وقيل أن ابتداء الكسوة باللون الأبيض كان منذ سنة ٢١٦هـ / ٨٣١ م . أما الرحالة ابن جبير فيشير بأن كسوة الكعبة المشرفة في عهده كانت من الحرير ، وكان لونها أخضر ، وكانت مكونة من أربع وثلاثين شقة ، تسع منها في الجهة التي بين الركن اليماني والركن الشامي ، وكذلك في الجهة التي بين ركن الحجر الأسود والركن العراقي ، وكذلك ثمان منها في الجهة التي بين الركن العراقي والركن الشامي ، وكذلك في الجهة التي بين الركن اليماني والركن الحجر الأسود . وقد وصلت هذه الستور

(١) ابن جبير ، ص ٦٠-٦٢ .

(٢) عن كسوة الكعبة في الجاهلية والاسلام ، انظر التجيبي السبتي ، ص ٢٥٨ ، ابن الجوزي ، مثير الغرام الساكن ، ورقة ١٠٤ ، الازرقى ، أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ١٠١ ، الفاشي شفاء الغرام ج ١ ، ص ١١٩-١٢٠ ، أحمد عبد الغفور عطار ، الكعبة والكسوة ، ص ١٠٤ ، ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ١٠٥ ، عباس كرامة ، تاريخ الحرمين ، ص ٧٠-٧١ .

بعضها ببعض ، وجاءت كأنها ستر واحد يعم جميع الجوانب ، وفي أعلا هذه الستور نقش بالحرير الأحمر ، وعليه نقش آيات بينات نصها : " ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين . " (١)

والرحالة ابن بطوطة أشار الى أن ستور الكعبة الشريفة كانت فسي عهده من اللون الأسود ، ومكتوب عليها بالأبيض ، وهي تتلأأ نورا واشراقاً وهي تكسو الكعبة جميعها من الأعلى الى الارض . (٢)

والرحالة البلوى ذكر بأن هذه الستور ، طرّز فيها أشكال محاريب وكذلك نقشت كتابات وقراءات بذكر الله تعالى ، وبالدعاء للامام العباسي الأمر باقامتها . (٣) وكانت كسوة الكعبة هذه تأتي من سلطان مصر مع الركب المصري في كل عام . (٤)

(١) سورة آل عمران ، آية ٩٥ ، ابن جبير ، ص ٦٩ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠١

انظر عبد القدوس الانصارى مع ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٧

(٢) ابن بطوطة ، ص ١٣٤ ، انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٥٧

(٣) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠١

(٤) ابن بطوطة ، ص ١٧١



وكانت الكعبة المشرفة تحرم في اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة ، واحرامها هو تشمير أذيالها مقدار قامة ونصف من جهاتها الأربعة ، ويسمى ذلك احراما لها ، ويقولون : أحرمت الكعبة . وأشار ابن جبير بأن هذه عادة كانت تجرى دائما في نفس الوقت من الشهر في كل عام ، ويعدّها لا يفتح باب الكعبة الا بعد الوقفة . وشبه ابن جبير هذا التشمير " كأنه ايدان لها بالسفر ، وايدان بقرب وقت وداعها المنتظر " .<sup>(١)</sup> كما عبر الرحالة ابن بطوطة عن ذلك قائلا : " وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أستار الكعبة ، زادها الله تعظيما ، الى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربعة صونا لها من الأيدي أن تنتهبها ، ويسمون ذلك احرام الكعبة ، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ، ولا تفتح الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتى تنقضى الوقفة بعرفة " .<sup>(٢)</sup>

أما عن مقام ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهو الأثر الاسلامي العظيم الذي حفظه الله تعالى طيلة هذه الدهور والقرون الطويلة منذ عهد ابراهيم عليه السلام حتى العصر الحاضر . وأشار الرحالة ناصر خسرو أن مقام ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام يقع شرقي الكعبة المشرفة وهو الحجر الذي به آثار قدمي ابراهيم عليه السلام<sup>(٣)</sup> . وأضاف بأنه

(١) ابن جبير ، ص ١٤٣-١٤٤

(٢) ابن بطوطة ، ص ١٦٨

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٤ ، انظر الازرقى ، ج ١ ، ص ٦٠

مركب في حجر أخضر ، وعليه غلاف مربع من الخشب بارتفاع قامة الرجل ،  
دقيق الصنع ، وضعت عليه ألواح من الفضة ، وقد أحكم ربط هذا الغلاف  
بالحائط بسلاسل من الجانبين ، وعليه قفلان حتى لا يستطيع أحد لمسسه ،  
والمسافة التي بين الكعبة والمقام تبلغ ثلاثين ذراعاً <sup>(١)</sup> .

وذكر ابن جبير أن مقام إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام ما بين  
باب الكعبة المشرفة وبين الركن العراقي إلا أنه يكون أقرب إلى باب  
الكعبة ، وأشار ابن جبير كما ذكر ناصر خسرو بأنه توجد على هذا المقام  
قبة مصنوعة من الخشب لها أركان محددة ومنقوشة بنقوش بدیعة يبلغ  
ارتفاعها نحو قامة ، وعرضها من الركن إلى الركن يبلغ حوالي أربعة أشبار .  
وقد نصب على هذا الموضع الذي كان فيه المقام زمن سيدنا إبراهيم عليه  
أفضل الصلاة وأزكى التسليم حجارة أشبه بالحوض المستطيل ، بلغ ارتفاعه  
حوالي شبر ، وطوله حوالي خمس خطوات ، وعرضه نحو ثلاث خطوات ، وهذا  
الحوض أرضه مفروشة برمل أبيض . ولما صرف النبي صلى الله عليه وسلم  
المقام إلى المكان الذي اتخذ صلى ، بقي هذا الحوض المذكور مصباً لماء  
البيت إذا غسل ، وهو موضع مبارك ، وأشار عنه ابن جبير بأنه روضة من  
رياض الجنة <sup>(٢)</sup> . وموضع المقام الكريم ههنا الذي يصلي خلفه ، كما توجد  
لمقام إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام قبة أخرى مصنوعة من الحديد ،

( ١ ) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٤

( ٢ ) ابن جبیر ، ص ٦٢-٦٣ .

وتوضع بجوار قبة زمزم ، وفي أثناء موسم الحج ترفع القبة الخشبية وتوضع هذه القبة المصنوعة من الحديد ، كما يوقع مقام ابراهيم نفسه في داخل الكعبة المشرفة وذلك صونا له من أيدي الحجاج .

وأشار الرحالة العبدري الى أن مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام عبارة عن حجر يوجد فيه أثر قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهو الذى كان يقف عليه أثناء بنايته للكعبة المشرفة ، ثم غطست فيه قدماه ، فأقيمت عليه قبة ، وأصبح مزارا . (١)

وأشار أيضا الرحالة العبدري بأن مقام ابراهيم مربع الشكل ، طوله يبلغ نحو ذراع ، وعرضه يبلغ واحد وعشرون اصبعاً ، والقدمان تدخل فيه حوالى سبعة أصابع ، والمسافة التى بين القدمين تبلغ اصبعان ، وقد وضع فى حوض من خشب الساج مربع الشكل ، حوله رصاص ، وكذلك الحوض ملبس بالرصاص ، وعليه صندوق من خشب الساج ومسقوف عليه والمقام من حجر لونه أحمر داكن ، وعليه شباك مقل ، ومن ورائه حيزٌ موضع لركعتي الطواف . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد أتى البيت وطاف به سبعا ، ثم أتى المقام فقرأ : " واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى " وركع خلفه ركعتين . (٢)

(١) العبدري ، ص ١٧٧ ، انظر ابن رسته ، الاطلاق النفيسة ، ص ٣٨-٣٩ ،

محمد كامل حته ، صور من الحجاز ، ص ١٥ ، عباس كزاره ، تاريخ الحرمين ، ص

١٨٩-١٤٠ العبدري ، ص ١٧٨ ، انظر حسين باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٨٩

وأشار التجيبي السبتي بأن ارتفاع المقام يبلغ في عصره نحو ثلاثة أشبار ، وعرضه نحو شبر ، وهو موضوع في وسط حوض من الرخام ومكسو بالفضة ، وله غطاء خشبي لحفظه ، كما أن له قفل مفتاحه بيد الشيبين سدنة البيت ، والمقام موضوع داخل القبة <sup>(١)</sup> . وأشار البلوى بوجود منبران كبيران مزخرفان ، موضوعات بازاء مقام ابراهيم عليه السلام . <sup>(٢)</sup>

أما عن زمزم المباركة فقد أشار التجيبي السبتي وغيره من الخصائص والفوائد التي انفرد بها ماء زمزم المبارك ، فهو لكل ما شرب له ، وقال صلى الله عليه وسلم : " التزلع من ماء زمزم براءة من النفاق " . <sup>(٣)</sup>

ولزمزم المباركة أسماء ، منها ما أشار به الرحالة التجيبي السبتي زمزم وهو المشهور من أسمائها ، كما يقال لها كذلك زمازم وبره ، والمضنونة ، وهمزة جبريل ، وهمزة جبريل ، وشفاء منعم ، وطعام طعم ، وطيبة ، وشراب الأبرار ، ومكنونة ، ومكتومة ، وسقاية الحاج ، وحفيرة عبد المطلب ،

(١) التجيبي السبتي ، ص ٢٩٣ ، انظر الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٥٧٦

(٢) البلوى ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٣) التجيبي السبتي ، ص ٣١٧ ، البلوى ، ص ٣٠٥ ، الصباغ ، تحصيل المرام ورقة ٨ ، الأزرقى ، أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٩٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، والحديث حديث صحيح ، وانظر محمد بن سليمان ، جمع الفوائد

وركضة جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup> . وذكر التجيبي السبتي بأن السبب فـى تسميتها بززم هو كثرة الماء بها . وقيل الزممة عند العرب هى الكثرة والاجتماع ، وقيل سميت بذلك من ضم هاجر لمائها حين انفجرت لها وزمها ايـاه .<sup>(٢)</sup>

وأشار ابن جبير بأن بئر زمزم يقابل ركن الحجر الأسود ، وان المسافة بينهما تبلغ أربعاً وعشرين خطوة ، ويقع مقام ابراهيم عليه السلام عن يمينها والمسافة بينهما تبلغ عشر خطوات . كما ذكر أن عمق بئر زمزم يبلغ احدى عشرة قامة حسب ما ذرعه ابن جبير ، وكذلك يبلغ عمق الماء فيه سبع قانات .<sup>(٣)</sup>

وأشار ابن جبير وغيره بأن قبة بئر زمزم تقع شرقى الكعبة ، وهى بازاء بابها ، وهى على البئر ، كهجرة متسعة ومربعة الشكل ، وفى دورها أحواض متقنة العمل ودائرة مع القبة ، وتلأ بالماء للوضوء . وفى وسطها (تنفور) بئر زمزم وهو من الرخام ، أحيط بأعمدة من الرصاص بلغ عددها

---

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٢-٣٠٣ ، انظر الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٩٢ وقيل أن السبب فى تسميتها همزة جبريل ، لأن جبريل همزة بعقبه فى موضع زمزم فنبع الماء .  
 (٢) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٢  
 (٣) ابن جبير ، ص ٦٥-٦٦ .

اثنين وثلاثين عمودا ، وأخرجت لها رؤوس قابضة على حافة البئر، وتحيط  
بتنور البئر كله . (١)

وبداخل المسجد الحرام ، وفي الجهة الشرقية منه ، بجوار قبة زمزم ،  
قبة أخرى تسمى قبة الشراب أو القبة العباسية ، نسبة الى العباس رضى  
الله عنهما . وباب هذه القبة يتجه نحو الشمال تجاه دار الندوة  
ويبرد بها الماء ، ويكون سقاية للحاج ، لذلك سميت أيضا بقبة الشراب  
حيث يخرج منها الماء لسقى الحاج والمجاورين ، ويخرج لهم ليلا وذلك  
فى قلال يسمونها دوارق ، ولكل دورق منها مقبض (٢) . وأشار ابن بطوطة  
بأن فى هذه القبة تختزن المصاحف الكريمة والكتب الخاصة بالهرم الشريف

---

(١) ابن جبير ، ص ٦٥-٦٦ ، العبدري ، ص ١٧٧ ؛ ابن بطوطة ، ص ١٣٨  
البلوى ج ١ ص ٣٠٥ .

وعن غور زمزم انظر أيضا ، الازرقى ، أخبار مكة ج ٢ ، ص ١٠ ؛ ابن  
رسته ، الأعلام النفيسة ، ص ٣٢ ؛ حسين باسلامه ، تاريخ  
عمارة المسجد الحرام ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن جبير ، ص ٦٦ ، العبدري ، ص ١٧٧ ، التجيبي السبتي ، ص ٣٢٣  
ابن بطوطة ، ص ١٣٨ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ؛ انظر المقدس  
أحسن التقاسيم ، ص ٦٨-٧٤ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص  
٣٥ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٩٣ ؛ حسين باسلامه  
تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٣١-٢٣٤ .

والشموع وما الى ذلك ، كما يوجد بها خزانة تحتوى على تابوت متسع موضوع فيه المصحف الشريف المكتوب بخط زيد بن ثابت رضى الله عنه وأهل مكة المكرمة يخرجون هذا المصحف اذا أصابهم قحط أو شدة ، ثم يضعونه على عتبة باب البيت الكريم ، وفي مقام ابراهيم عليه السلام ثم يجتمع الناس كاشفين رؤوسهم يدعون ويتضرعون ويتوسلون .<sup>(١)</sup>

ونلى قبة الشراب هذه قبة أخرى لامرأة يهودية ، زعموا أنه كان بيتا لها فى الجاهلية ، ويتجه بابها جهة الشمال كذلك ، ومن يكون فسى أعلى قبة الشراب يستطيع أن ينتقل الى سطح هذه القبة .<sup>(٢)</sup>

والمسجد الحرام زاده الله تشريفا وتعظيما يقع فى وسط البلد الامين مكة المكرمة ، وهو متسع المساحة ، فى وسطه الكعبة المشرفة ، منظره بديع ، ومراه جميل ، وهو أول مسجد وضع فى الارض ، كما أنه أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها - قال صلى الله عليه وسلم : لا تشد

(١) ابن بطوطه ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن جبير ، ص ٦٦ ، التجيبي السبتي ، ص ٣٣٢ ، ابن بطوطه ، ص ١٣٨ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، وهذا القباب جميعا أزيلت فى سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م بسبب دخول سيل عظيم الى المسجد الحرام كما اُتلف الكثير من الكتب والاشياء التى بالمخازن ، فوسعت للمصلين ، حسيسن باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٣١ - ٢٣٤

الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى . (١)

والرحالة ابن جبير والتجيبى السبتي يشيرا الى أن طول المسجد الحرام يبلغ حوالى أربعمائة ذراع ، وعرضه يبلغ ثلاثمائة . (٢) ويشير ابن بطوطة الى أن طول المسجد الحرام يبلغ أكثر من أربعمائة ذراع وعرضه يقرب من ذلك . (٣)

وأبواب المسجد الحرام عديدة ، وأكثرها مفتوح على أبواب أخرى تسمى طاقات ، وهى كالتالى كما ذكرها الرحالة المسلمون :

- باب الصفا : وهو أكبر أبواب المسجد الحرام ، ويفتح هذا الباب على خمسة أبواب أخرى ، وكان قديما يسمى بباب بنى مخزوم ، لأن بنى مخزوم يسكنون جهته ، ومنه يخرج الى الصفا (٤) .

---

(١) البلوى، ج ١، ص ٣٠، العمرى، مسالك الابصار، ج ١، ص ٩١، محمود الشرقاوى ، مكة المكرمة، ص ٢١ ، والحديث المثبت حديث صحيح انظر صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٨١-٥٨٢ ،

(٢) ابن جبير، ص ٧٦، التجيبى السبتي، ص ٢٤٢

(٣) ابن بطوطة، ص ١٣٢، وعن ذراع المسجد الحرام انظر أيضا الازرقى ، أخبار مكة، ج ٢، ص ٨١-٨٢

(٤) ابن جبير، ص ٨٢-٨٣، التجيبى السبتي، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، ابن بطوطة



- باب العباس رضى الله عنه : ويفتح على ثلاثة أبواب <sup>(١)</sup> ، وفي حده الميل الأخضر ، وكان يضرب عنده الطبول في أوقات الصلاة ، في العشرة الاوائل من شهر ذى الحجة <sup>(٢)</sup> .
- باب النبی صلی الله علیه وسلم : ويفتح على بابین <sup>(٣)</sup> وزاد التجيبي السبتي بأنه كان يلي حجرة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وكان النبی صلی الله علیه وسلم يدخل ويخرج من هذا الباب <sup>(٤)</sup> .
- باب بنى شيبة : وهو فى ركن الجدار الشرقى من جهة الشمال أمام باب الكعبة الشريفة . وكان يفتح على ثلاثة أبواب ، وهو باب بنى عبد شمس ، ومنه كان دخول الخلفاء <sup>(٥)</sup> . وأشار الرحالة التجيبي السبتي بأن به ساديتين ، كما أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام دخل منه لتأدية نسكه ، ومنه يدخل أكثر الزائرين ، وكان يعرف عند أهل مكة فى الجاهلية بباب بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، كما يقال له باب السيول لأن

---

( ١ ) ابن جبير ، ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٨ .

( ٢ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٤٤-٢٤٧ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٨ .

( ٤ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٤٤-٢٤٧ .

( ٥ ) ابن جبير ، ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٨-١٣٩ .

السيول كانت تدخل منه للمسجد الحرام وذلك قبل أن يقسم  
ال خليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بالردم الاعلى  
ليمنع دخول السيول الى المسجد الحرام .<sup>(١)</sup>

- باب على رضى الله عنه : ويفتح هذا الباب على ثلاثة أبواب أخرى<sup>(٢)</sup>

- باب صغير بازاء باب بنى شيعة : وهذا الباب لا اسم له كما أشار  
بذلك ابن جبير وابن بطوطة ، وربما هذا الباب هو الذى  
سماه التجيبي السبتي باب القوارير .<sup>(٣)</sup>

- باب صغير بازاء بنى شيعة : لا اسم له أيضا ، وقيل انه يسمى بباب  
الرباط حيث يدخل منه لرباط الصوفية .<sup>(٤)</sup>

- باب دار الندوة : ويفتح على ثلاثة أبواب ، بابان من دار الندوة  
والثالث فى الركن الغربى من الباب .<sup>(٥)</sup>

- باب العمرة : وأشار ابن بطوطة بأنه من أجمل أبواب الحرم .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٤٤-٢٤٧

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٨-١٣٩ ، التجيبي

السبتي ، ص ٢٤٤-٢٤٧ .

( ٣ ) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

( ٤ ) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

( ٥ ) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

( ٦ ) ابن بطوطة ، ص ١٣٨ .

- باب صغير لدار المعجله : <sup>(١)</sup> وأشار الرحالة التجيبي السبتى بأن هذا الباب أحدثه وأنهم كانوا قبل ذلك غير شارع الى المسجد ، ثم أحدث لدخول الاساطين التي كانت تجلب على المعجل من جدة . <sup>(٢)</sup>
- باب خزورة : وهو مفتوح على بابين <sup>(٣)</sup> . وأشار الرحالة التجيبي السبتى بأنه كان قديما يدعى بباب بنى حكيم بن حزام ، وبباب ابن الزبير بن العوام . <sup>(٤)</sup>
- باب ابراهيم : أشار الرحالة ابن جبير بأنه ينسب لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، والرحالة ابن بطوطة والتجيبي السبتى أشارا بأن طائفة يزعمون أنه لابراهيم الخليل ، لكن الصحيح عندهما أن هذا الباب ينسب لابراهيم الخوزي ، وهو من الأعاجم وكان يعمل خياطا بجوار هذا الباب . <sup>(٥)</sup>
- أبواب جياذ وهي أربعة أبواب :
- باب القائد : ويسمى باب الخياطين ، وفيه سارية عليها طاقان . <sup>(٦)</sup>

(١) ابن جبير، ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) التجيبي السبتى ، ص ٢٤٤-٢٤٧

(٣) ابن جبير ص ٨٢-٨٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٩

(٤) التجيبي السبتى ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٧

(٥) ابن جبير، ص ٨٣ والتجيبي السبتى ، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٩ .

(٦) التجيبي السبتى ، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

- باب السدة : أشار اليه الرحالة ابن جبير ، وذكر  
التجيبى السبتي بأن السدة هي الظلال والسقائف التي حول  
المسجد ، وقيل سمي بذلك لأنه سدّ ثم فتح <sup>(١)</sup> .

هذه أبواب المسجد الحرام كما جاءت في كتابات الرحالة المسلمين .

أما عن سوارى المسجد الحرام فهي كما أشار بذلك الرحالة ابن  
جبير وغيره بأن عددها بلغ ٤٨٠ سارية ( اسطوانة ) ، بالإضافة إلى  
سارية أخرى مصنوعة من الجص ، بعد أن عدّها الرحالة ابن جبير وقام  
باحصائها بنفسه <sup>(٢)</sup> .

وصوامع المسجد الحرام كما ذكر الرحالة ابن جبير وغيره ، بلغ عددها  
سبع صوامع ( منارة ) وذلك في الجوانب الأربعة للمسجد الحرام ، أربع  
صوامع ، وخامسة في دار الندوة ، وسادسة على باب الصفا ، وسابعة على  
باب إبراهيم ، أما الرحالة العبدري وابن بطوطة فذكرا أن للمسجد  
الحرام خمس صوامع أحدها على ركن أبي قبيس عند باب الصفا ، والثانية

( ١ ) ابن جبير ص ٨٥-٨٦ ، التجيبى السبتي ، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، انظر حسين ماسلا  
تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٨٢ ، ابن ظهير ، الجامع اللطيف ، ص ٢٨

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٨٥-٨٦ ، التجيبى السبتي ، ص ٢٤٣ ، البلوى ج ١ ،  
ص ٣٠٦ ، انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ ص ٨٧ ، ابن رسته  
الاعلاق النفيسة ، ص ٤٤

على ركن باب بنى شيبة ، والثالثة على باب دار الندوة ، والرابعة على ركن باب السدة ، والخامسة على ركن أجياذ .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة المسلمون عن الحمام الموجود بالمسجد الحرام والذي ينتشر بأسطحه وطاقاته . وأنه يجتمع زرافات في جهات كثيرة في صحن الحرم الشريف ، وخاصة في الجهة الشرقية من المسجد الحرام ، كما أنه يطير في أجواء المسجد في أمن وطمأنينة . ومن عجائبه أنه لا يحط على الكعبة المشرفة ، وعندما يطير الى أعلى ويحاذى الكعبة المشرفة ، لا ينزل عليها ، كما أنه لا يعلوها في الطيران بل يعرج عنها الى جهات أخرى.<sup>(٢)</sup> وذكر ابن بطوطة بأنه لا ينزل على الكعبة المشرفة طائر الا اذا كان به مرض ، وقال : " فاما أن يموت لحينه أو يبرأ من مرضه " .<sup>(٣)</sup>

والسعى بين الصفا والمروة من شعائر الله : قال تعالى : " ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم " <sup>(٤)</sup> والسعى بين الصفا والمروة احياء لقصة هاجر مع ابنها اسماعيل عليه السلام ، عندما تركها سيدنا ابراهيم

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٨ ، العبدري ، ص ١٧٤ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٩ ، انظر

الازرقى ، أخبار مكة ج ٢ ص ٨٢ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٧٦ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٤ ، البلوى ، ج ١ ص ٣٠٣ .

( ٣ ) ابن بطوطة ، ص ١٣٤

( ٤ ) سورة البقرة آية ١٥٨

الخليل في هذا الوادى المقفر بمكة المكرمة ، ثم انطلقت هاجرباحثة عن الماء بعد نفاذه ، فاستقبلت الوادى ثم صعدت على الصفا وهى اقرب جبل لها فصعدت عليه ، ثم نزلت الى الوادى لعلها ترى أحد أولعلها تجد ماء ، وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم صعدت المروة تنظر هنا وهناك لعلها تجد شيئا ، وفعلت ذلك سبع مرات ، لذلك يسمى الناس بين الصفا والمروة .<sup>(١)</sup>

وأشار ابن جبير وغيره الى أنه يستحب لمن يخرج من الحرم للمسعى أن يخرج من باب الصفا ، وأن يجعل طريقه بين الاسطوانتين اللتين وضعتا لتكون علما لرسول الله .<sup>(٢)</sup>

وللصفا أربع عشرة درجة ، والدرجة العليا فيها واسعة ، تبلغ سعتها سبع عشرة خطوة ، وأدراج المروة خمسة ، وسعتها سعة الصفا سبع عشرة خطوة .<sup>(٣)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير وغيره بوجود سارية خضراء مصبوغة باللون الأخضر ، تسمى الميل وهى مثبتة فى الركن الشرقى من الحرم ، عن يسار الساعى

( ١ ) مسجد كامل حته ، صور من الحجاز ص ٢٢ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٨٤ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٢٧ .

( ٣ ) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

جهة المروة ، ومنه يرمل الانسان حتى يصل الى الميلين الأخضرين . وهما ساريتان خضراوان مصبوغتان بجانب باب على رضى الله تعالى عنه ، احدا<sup>هما</sup> فى جدار الحرم عن يسار الخارج من الباب ، والاخرى تقابلها . وعلى رأس كل سارية وضع لوح شبيه بالتاج لها ، ونقش بنقوش مذهبة ما نصه : " ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم " ، وبعدها " أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضى ، بأمر الله أمير المؤمنين أعز الله نصره ، سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة " .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير وغيره الى أن المسافة التى بين الصفا والميل الأخضر تبلغ ثلاثا وتسعين خطوة ، وتبلغ المسافة من الميل الى الميلين خمسا وسبعين خطوة ، وهذه مسافة الرمل ، أى من الميل الأخضر الى الميلين الأخضرين ، وتبلغ المسافة من الميلين الى المروة ٣٢٥ خطوة لذلك فالمسافة كلها من الصفا الى المروة ٩٣ خطوة .<sup>(٢)</sup> وأشار الرحالة التجيبي السبتي بأن المسافة التى بين الصفا والمروة تبلغ مقدار ٧٨٠ ذراع<sup>ع</sup> والمسافة التى من الصفا الى الميل الأخضر الاول تبلغ ١٨٠ ذراع ، وكذلك

(١) ابن جبير ، ص ٨٣-٨٤ ، ابن بطوطة ، ص ١٤١ ، البلوى ، ج ١ ص ٣٠٧

(٢) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

المسافة التى من الميل الى الميل الثانى تبلغ ١٢٥ ذراع ، والمسافة من الميل الثانى الى المروة تبلغ ٤٧٥ ذراع <sup>(١)</sup> .

ومن المشاهد والمزارات التى شاهدها الرحالة أثناء تجوالهم فى مكة المكرمة كثيرة ، وعديدة ، منها المساجد ومنها الدور وغيرها ، وأشار الرحالة ابن جبير عن مكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم والترية الطاهرة التى مست جسده الطاهر وأنه قد بنى عليها مسجدا عظيما ، وقال " لم ير أحفل بناء منه ، وأكثره ذهب منزل به ، والموضع المقدس الذى سقط فيه صلى الله عليه وسلم ساعة الولادة السعيدة المباركة ، التى جعلها الله رحمة للأمة أجمعين ، وهو محفوف بالفضة . فيالها تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام ، ومولد خير الأنام صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليما " <sup>(٢)</sup> . وهذا المكان كما ذكر ابن جبير كان يدخله كافة الناس للتبرك به وخاصة فى يوم الاثنين من ربيع الاول ، وذكر ابن جبير أيضا بأنه دخل هذا المسجد فى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر رذى القعدة من سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٩م وشاهد بالقرب منه مسجدا آخر مكتوب عليه " هذا المسجد هو مولد على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، وفيه تربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان دارا لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم . " <sup>(٣)</sup>

(١) التجهيبي السبتي ، ص ٢٢٧-٢٢٨

(٢) ابن جبير ، ص ٩١-٩٢

(٣) ابن جبير ص ١٤١



أما عن مسجد أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فأشار ابن جبير بأنه فى نهاية مكة المكرمة جهة السفلة ، ويحيط به بستان جميل فيه أشجار ونخل ورمان وعنب ، كما يوجد به شجر الحناء . ويوجد أمام المسجد بيت صغير ، له محراب قيل أنه كان يختبئ فيه رضى الله عنه من المشركين . (١)

ومسجد عائشة رضى الله تعالى عنها فى التنعيم ، من المساجد التى أشار لها الرحالة ابن جبير وغيره ، وهو على بعد ميلين من مكة المكرمة ، ومنه يعتمر أهالى مكة ، وهو أدنى الحل الى الحرم ، ومنه اعتمرت السيدة عائشة رضى الله عنها حين بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضى الله عنه ، وأمره بأن تعتمر أخته من التنعيم . والتنعيم طريقه فسيح واسع ، ويود الناس كنسه فى كل يوم ، رغبة فى الأجر والثواب ، لان الكثير من المعتمرين يشون حفاة . وتوجد فى هذا الطريق آثار عذبة تسمى الشبيكة ، ونبت على الطريق ثلاثة مساجد تنسب كلها لعائشة رضى الله عنها . (٢)

- 
- ( ١ ) المصدر السابق ، ص ٩٣ ، انظر الفاسى ، العقد الثمين ج ١ ، ص ٩٥  
 ( ٢ ) ابن جبير ، ص ٩٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، انظر محب الدين الطبرى ، القرى لقاصد أم القرى ، ص ٦٦٥ ، انظر محمد حسين هيكل ، فى منزل الوحي ، ص ٢٦٠ . وقيل سعى المسجد بالتنعيم وذلك لان الجبل الذى يقع على يمينه يسمى نعيم ، والجبل الذى على يساره يسمى ناعم ، والوادي الذى هو فيه اسمه نعمان ، انظر ، الورتيلانى ، الرحلة ، ص ٣٨٤

والدور الموجودة بمكة المكرمة ، والتي تعتبر من الأماكن المباركة كثيرة ، ويشير لنا الرحالة ابن جبير وغيره عن بعض هذه الدور ، منها دار خديجة<sup>(١)</sup> أم المؤمنين رضى الله عنها . وذكر الرحالة ابن جبير وغيره أن بداخلها قبة تسمى قبة الوحي وهما أيضا مولد فاطمة رضى الله عنها ، وهو عبارة عن بيت صغير ، مائل للطول ، وفيه مولد الحسن والحسين ابني فاطمة رضى الله عنهم .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة البلوى الى أن قبة الوحي التي بدار خديجة رضى الله عنها مكتوب عليها ما نصه " بسم الله الرحمن الرحيم تقرب الى الله تعالى بعمارة هذا الموضع الشريف المنسوب الى خديجة رضى الله عنها ، ومسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهبط الوحي الكريم العبد المفتقر الى رحمة الله تعالى ، مولانا السلطان بن السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي خادم الحرمين الشريفين بلغه الله تعالى غاية آماله ، وتقبل منه صالح أعماله ، وذلك بتاريخ شهر صفر سنة ست وثمانين وستمائة " كما كتب بداخل القبة الصغيرة " هذا مولد فاطمة رضى الله عنها " .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ١٤١ ، انظر خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٢  
(٢) ابن جبير ص ١٤١ ، البلوى ج ١ ، ص ٣١١ ، انظر ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٣٢٨-٣٢٩ ، انظر ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ١٨٩-١٩٠ .

(٣) البلوى ، ج ١ - ص ٣١١ ، والملك المظفر هو شمس الدين يوسف بن نور الدين عمر بن رسول من سلاطين آل رسول اليمن (٦٤٧-٦٩٤ هـ) انظر الخزرجي : المعقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩٩ .

ومن الدور المباركة التي بمكة المكرمة والتي أشار اليها الرحالة المسلمون دار الخيزران ، وهي الدار التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعبد الله فيها سرا<sup>(١)</sup> . وكانت هذه الدار لابن الأرقم المخزومي ، وهي التي أسلم فيها جماعة كبيرة من الصحابة ومنهم عمر الفاروق ، رضي الله عنه ، وحمزة وغيرهما ، وتقع دار الخيزران كما أشار الرحالة ابن جبير وغيره بجوار الصفا ، ويلاصقها منزل صغير على يمين الداخل اليها وهو مسكن لبلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم . ودار الخيزران صغيرة وبنائها مجدد ، وأنفق عليها جمال الدين بن منصور وزير صاحب الموصل نحو ألف دينار<sup>(٢)</sup> . وكان على يمين الداخل الى هذه الدار قبة بنائها بديع ، فيها مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصخرة التي كان يستند عليها وهي داخلة في الدار وتشبه المحراب ، وعلى يمينه موضع أبي بكر الصديق ، وعن يمين أبي بكر موضع على بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> .

ومن مشاهد مكة المكرمة كذلك جبل أبي قبيس ، وموقعه تجاه الركن الشرقي من الكعبة الشريفة ، يقابل ركن الحجر الأسود ، ويوجد بأعلى

- 
- (١) ابن جبير ، ص ٩٢ ، البلوى ، ص ٣١٢ ، انظر الفاسي ، العقد الشمين ج ١ ، ص ٩٨-٩٩ ، المحب الطبري ، القرى لقاصد أم القرى ، ص ٦٦٤ ، انظر النهر والى ، الاعلام ، ص ١١٢-١١٣ ، محمد حسين هيكل ، في منزل الوحي ص ٢١٨ .
- (٢) ابن جبير ، ص ١٠٢-١٠٣ ، البلوى ، ص ٣١٣ ، انظر محمد كامل حطة ، في ظلال الحرمين ص ٣٦٥ .
- (٣) ابن جبير ، ص ١٤٥ .

الجبل مسجد به آثار لرباط ولعمارة ، وهو يطل على الحرم الشريف ،  
كما يطل سطحه على البلد الكريم مكة <sup>(١)</sup>

ومن الجبال الشهيرة بمكة المكرمة جبل ثور ، وموقعه كما أشار  
الرحالة ابن جبير وغيره في الجهة اليمينة من مكة المكرمة على مسافة  
أربعة أميال ، والغار في أعلاه وعلى جانب منه ، وفيه نزل جبريل على النبي  
صلى الله عليه وسلم . والغار الذي اختفى فيه عليه الصلاة والسلام مع  
أبى بكر صخرة واحدة مقبية <sup>(٢)</sup> . وقد خص الله سبحانه وتعالى نبيه  
بآيات بينات ، منها أنه صلى الله عليه وسلم دخل الغار مع صاحبه من  
شق ضيق ، ثم أمر الله سبحانه وتعالى العنكبوت لتصنع بيتا على هذا  
الشق ، وأنبت الله نبات الرأء على باب الغار فحجبته ، كما صنعت  
الحمامة عشا وفرخت فيه . ولما انتهى المشركون الى مكان هذا الشق  
بعد تتبعهم للأثر قالوا : " اما صعد صاحبكم من هنا الى السماء واما غيـض

---

(١) ابن جبير ، ص ٨٩ ، التجيبي السبتي ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ابن بطوطه  
ص ١٤٤ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، انظر النهر والى ، الاعلام ،  
ص ١٢-١٣ ، العمرى ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ٦١ .

(٢) ابن جبير ، ص ٩٣ ، ابن بطوطه ، ص ١٤٥ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٢  
انظر العمرى ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٦٣ ، خليل بن شاهين ،  
زبدة كشف الممالك ، ص ١٢ ، البتونى ، الرحلة ، ص ٥٣-٥٦

به في الأرض \* ، ولما رأى المشركون هذه الحمامة وهذا العنكبوت  
فقدوا كل أمل لهم بكونه داخل الغار ، وانصرفوا .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة التجيبي السبتي أنه شاهد هذا الغار المبارك ،  
ودخله من فتحته الضيقة ، التي دخل منها رسول الله صلوات الله  
عليه وسلم ، وأشار بأن فتحته يبلغ طولها خمسة أشبار الا ثلثا ، وعرضها  
شبران وأربعة أصابع .<sup>(٢)</sup> وصفه غارثور أنه مستطيل الشكل من ناحية  
الغرب الى الشرق ، وهوليس بغائى الى أسفل ، طوله ثلاثة وعشرون شبرا  
وعرضه تسعة أشبار الا ثلثا ، وللغار باب آخر ، وهو الذي فتحه جبريل  
عليه السلام حين ضربهم بجناحه ، فانفتح هذا الباب وطوله  
سنة أشبار وعرضه أربعة ومنبه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
يشرب .

ومن الجبال الشهيرة كذلك بمكة المكرمة ، والتي تحدث عنها الرحالة  
المسلمون جبل حراء ، ويقع على يسار الذهاب الى منى . وتبلغ المسافة

---

(١) ابن جبير ، ص ٩٣ ، التجيبي السبتي ، ص ٣٥٣ ، ابن بطوطة ، ص ٤٥  
انظر ابن فضل الله العمري ، مسالك الامصار ، ج ١ ، ص ٦٣ ، نبات الرأفة  
نبات من أغلات الشجر ، ويكون مثل قامة الانسان وله زهر أبيض تحشى  
به الوسائد ، انظر التجيبي السبتي ، ص ٣٥٣ .

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٣٥٣ ، العمري ، مسالك الامصار ، ج ١ ، ص ٦٣

التي بينه وبين مكة المكرمة حوالي ثلاثة أميال ، وهو الجبل الذي أحسب  
الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الخلوة فيه والتعبد ، حتى أتاه  
الوحي ، وليس فيه غار ، إنما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوش في أصل  
صخرة عظيمة في أعلى الجبل .<sup>(١)</sup>

ومن المشاهد والمزارات الموجودة بمكة المكرمة جبانة الحجون ،  
وأشار الرحالة ابن جبير وغيره بأن هذه الجبانة تقع خارج باب المعلى  
ويعرف هذا المكان بالحجون وسميت باسمه الجبانة التي دفن بها الجسم  
الغفير من الصحابة ومن التابعين والصالحين .<sup>(٢)</sup> وأشار الرحالة ابن بطوطة  
بأن المعروف منها قبر السيدة خديجة رضى الله عنها ، أم المؤمنين وأم أولاد  
النبي صلى الله عليه وسلم كلهم ماعدا إبراهيم ، والقرب منه قبر الخليفة  
العباسي أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٩٠ ، التجيبي السبكي ، ص ٣٥٠-٣٥٢ ، البلوي ، ج ١ ص  
٣١٢ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٦٣ ، العياشي  
الرحلة ، ج ٢ ، ص ١١٦-١١٢ .

(٢) ابن جبير ، ص ٨٧-٨٨ ، ابن بطوطة ، ص ١٤٢ ، انظر الوتراني  
الرحلة ، ص ٤٣٥ ، البتفوني ، الرحلة ، ص ٥٣-٥٦ .

(٣) ابن بطوطة ، ص ١٤٢ ، وأبو جعفر المنصور هو الخليفة العباسي  
الذي تولى الخلافة فيما بين سنتي ١٣٦-١٥٨ هـ ، مات محرماً بمكة  
ودفن بالحجون ، انظر المقرئ ، الذهب المسبوك ، ص ٣٨ ،  
الكتبي ، فوات الوفيات ، ص ٢١٦ .

ومن الاماكن المباركة التى شاهدها الرحالة وأشاروا اليها فى رحلاتهم ، أماكن الشعائر المقدسة التى تتم فيها المناسك ، ومن هذه الأماكن عرفات ، ومن أسمائها " عرفة " ، وأشار الرحالة العبدري أنه اختلف فى أصل تسمية عرفة ، قيل لأن جبريل كان يرى آدم المناسك ، فلما وصل به الى عرفة قال له أعرفت ؟ قال : نعم ، وقيل أيضا ان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة وقع بالهند ، ووقعت حواء بجسمه فاجتمعا بالمزدلفة ، وتعارفا بعرفة .<sup>(١)</sup>

وفى وصف عرفات أشار الرحالة ابن جبير وغيره بأنها أرض منبسطة فسيحة على مد البصر ، تحيط بها جبال كثيرة ، وفى آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وعليه وحوله يقف الحاج .<sup>(٢)</sup> وحد عرفة العلمان ، وهما قبل جبل الرحمة بنحو ميل ، وهما الحد ما بين الحل والحرم حيث ينتهى الحرم من تلك الجهة عند العلمين المنصوبين عند منتهى المأزمين وهما معروفان وظاهران .<sup>(٣)</sup> وبالقرب منهما مما يلي عرفة بطن " غرّة " ، الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابتعاد عنه لان الواقف فى غرته لا يصح حجه

---

(١) العبدري ، ص ١٨٥ ، انظر ابن فضل الله العمرى ، مسالك الابصار ، ج ١

ص ١٢٠ .

(٢) ابن جبير ، ص ١٥١ ، ابن بطوطه ، ص ١٦٩ ، البلوى ، ص ٣١٦ ،

انظر ابن رشيد ، ملئى العييه ، ورقة ٩٨ .

(٣) ابن رشيد ، ملئى العيية ، ورقة ٩٩ ، والمأزم هو المضيق بين جبلين .

وقيل : "عرفات كلها موقف الا بطن عرنه " . لذلك يجب التحفظ منه كما يجب أيضا الا مساك عن النفور حتى يمكن سقوط قرى الشمس .<sup>(١)</sup>

أما جبل الرحمة فهو كما أشار بعض الرحالة ، جبل منقطع عمن الجبال ، وقائم في ذلك البسيط من الأرض ، وهو من الحجارة ، صعب المرتقى ، وقيل ان جمال الدين وزير صاحب الموصل انفق عليه أموالا طائلة وعمل له أدراجا للصعود . وفي أعلى هذا الجبل قبة تنسب الى أم سلمة رضى الله عنها ، وفي وسطها مسجد يزدحم الناس فيه للصلاة وحوله سطح فسيح جميل المنظر ، يشرف على بسيط عرفات ، ويوجد في جهة قبلته جدار به محاريب ويصلى فيه الناس .<sup>(٢)</sup>

وفي اسفل جبل الرحمة توجد دار عتيقة عن يسار مستقبل الكعبة ، وفي أعلاها غرف لها طابقان ، وتنسب هذه الدار الى آدم عليه السلام . وعن يسار هذه الدار الصخرات التي وقف عندها الرسول الكريم صلوات الله

---

(١) ابن رشيد ، ملئ العيبة ، ورقة ٩٨

(٢) ابن جبير ، ص ١٥١ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٩ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٨ ، وأم سلمة : هي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت قبل زواجها من الرسول زوجة لابی سلمة بن عبد الاسد وهما أول من هاجرا النسي أرض الحبشة ، وتزوجت الرسول سنة ٢٢ هـ بعد غزوة بدر ، وتوفيت سنة ٦٠ هـ وصلى عليها أبو هريرة ، ودفنت بالقيع ، انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٤٣ .



وسلامه عليه ، وحول ذلك توجد صهاريج " خزانات " وجباب للماء والقرب منه المكان الذى يقف فيه الامام ويخطب ، ويجمع للصلاة بين الظهر والعصر .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير وغيره الى أنه عندما حان وقت النفير ، اندفع الناس بالنفير دفعة واحدة " ارتجت لها الأرض ، وارتجفت لها الجبال " .<sup>(٢)</sup> وهكذا كانت صورة الجمع بعرفة والنفير الى المزدلفة ، وصورته هذه تستمر رغم تعاقب السنين والأعوام .

أما عن مزدلفة فمن أسمائها المشعر الحرام<sup>(٣)</sup> ، واختلف فى أصل تسميتها بالمزدلفة ، فقل سميت بذلك من الازدلاف وهو الاجتماع ، وقيل لازدلاف آدم وحواء فيها أى اجتماعهما ، وقيل لنزول الحجاج فى زلف الليل<sup>(٤)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ١٥١ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٩ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٦

(٢) ابن جبير ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٩-١٧٠ ، البلوى ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٣) البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٦

(٤) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٦-٣٧ ، ابن الضياء ، البحر العميق ج ٢ ، ورقة ١٣٣-١٣٤ ، انظر ابن رشيد ، ملئ العميه ، ورقة ١٠٢ ، ياقوت معجم البلدان ، ص ١٢٠-١٢١ ، أحمد شرف ، مكة والمدينة ، ص ١٨١ .

وحد مزدلفة هو وادى محسر الذى يقع بينها وبين منى ، وحدها ممسا  
 يلى عرفة مأزما عرفة ، وهما جيلان مكتنفان للطريق ، وهما أوسع من مأزمى  
 منى ، وتبلغ المسافة بين مسجد مزدلفة ومسجد عرفة حوالى أربعة أميال<sup>(١)</sup>  
 ومزدلفة كلها موقف الا وادى محسر ، وفيه تقع الهرولة عند التوجه الى  
 منى .

ووصف الرحالة ابن جبير المشعر الحرام ليلة دخوله وذكر بأنسه  
 أشعل بالشموع المسرجة " واتقد المشعر الحرام تلك الليلة كلها بشاعيل  
 من الشمع المسرج " . كما أشار بأنهم لما وصلوا الى مزدلفة مع العشاء  
 الآخرة ، جمعوا فيها بين العشاءين حسبما جرت به سنة النبى صلى الله  
 عليه وسلم .<sup>(٢)</sup> ومن مزدلفة يجمع الناس - كما ذكر الرحالة للحصى - لرمى  
 الجمرات بمنى ، ومنهم من يجمعها من مسجد الخيف بمنى<sup>(٣)</sup> . وأشار  
 الرحالة ابن بطوطة بأنه بعد صلاة الصبح بمزدلفة ، توجه الجميع الى منى  
 بعد الوقوف والدعاء بالمشعر الحرام .<sup>(٤)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ١٥٥ ؛ العبدري ، ص ١٨٣-١٨٥ ؛ البلوى ، ج ١  
 ص ٣١٦ ، انظر الورثيلانى ، الرحلة ، ص ٣٩٥ ؛ ابن حوقل ، صورة الارض  
 ص ٣٦-٣٧ ؛ ابن رشيد طلىء العييه ، ورقة ١٠٣ .

(٢) ابن جبير ، ص ١٥٥

(٣) ابن جبير ، ص ١٥٥ ، ابن بطوطة ، ص ١٧٠ ؛ البلوى ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٤) ابن بطوطة ، ص ١٤٠

ومن الأماكن المباركة والمشاعر المقدسة التي أشار إليها الرحالة في رحلاتهم مدينة منى ، وهي كما وصفها الرحالة ابن جبير قائلا : " مدينة عظيمة الآثار ، واسعة الاختطاط عتيقة الوضع ، قد درست الا منازل يسيرة متخذة للنزول تحف بجانب الطريق كأنهم يدان انبساطا وانفساحا ممتد الطول " .<sup>(١)</sup>

وحد منى كما ذكر الرحالة التجيبي السبتي ، ما بين محسّر إلى العقبة التي ترمى إليها جمرة العقبة ، وهو شعب طوله يبلغ نحو ميل وعرضه يسير وتحيط به الجبال ، ما أقبل منها فهو من منى ، وما أدبر منها فليس من منى ، كما أن جمرة العقبة في آخرها ما يلي مكة<sup>(٢)</sup> . كما أضاف التجيبي السبتي بأن في وسط الوادي توجد الجمرتان ، والجمرة الثالثة هي جمرة العقبة ، وبينها وبين الجمرة الثانية مسافة تبلغ حوالي أربع مائة ذراع ، وبين الجمرة الثانية والجمرة الثالثة ثلاثمائة ذراع وخمسون ذراعاً ، وما بين منى ومكة أربعة أميال .<sup>(٣)</sup>

---

(١) ابن جبير ، ص ١٣٥

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٣٤٢ ، انظر ابن رشيد ، طلىء العمية ، ورقة ١٠٥-١٠٦ ، ابن الضياء ، البحر العميق ، ج ٢ ، ورقة ٩٧ .

(٣) التجيبي السبتي ص ٣٤٢ انظر ابن رشيد ، طلىء العمية ، ورقة ١٠٥-١٠٦

وأشار الرحالة ابن بطوطة وغيره بأنه عند وصولهم الى منى ، ساد الناس لرمي جمرة العقبة ، وذلك بسبع حصيات ، ثم نحرُوا وذبحوا ، ثم حلقوا وتحللوا من كل شيء إلا النساء والطيب ، وذلك حتى يتم لهم طسواف الافاضة . ورمى هذه الجمرة يكون عند طلوع الشمس من يوم النحر ، وكثير من الناس توجهوا بعد أن ذبحوا وتحللوا الى مكة المكرمة لأداء طواف الافاضة ، ومنهم من أجّلها . وفي اليوم الثاني توجه الناس لرمي الجمار ، وتم لهم فلتك في اليوم الثالث أيضا ، وكثير من الناس كان يتعجل ويتوجه الى مكة المكرمة لأداء الطواف ، ومنهم من ينتظر الى اليوم الثالث بعد يوم النحر ، ويرمي سبعين حصة ، قال تعالى : " فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه " .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير وغيره الى مسجد الخيف بمنى ، وذكرُوا بأنه على يسار القادم من عرفات ، وعن يمين المقبل من مكة المكرمة الى عرفات<sup>(٢)</sup> كما وصفه الرحالة البلوى ، بأنه متسع الساحة ، مستطيل الشكل ، وهو من المساجد المباركة ، وقيل أن بقعته مدفن لكثير من الأنبياء

(١) ابن بطوطة ، ص ١٧٠-١٧١ : البلوى ، ج ٢ ، ص ٦  
سورة البقرة آية ٢٠٣

(٢) ابن جبير ، ص ١٣٧-١٣٨ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٦ ، محمود الشرقاوى ، مكة المكرمة ، ص ١٩٩

صلوات الله عليهم أجمعين . (١)

هكذا أسهب الرحالة المسلمون في وصف الكعبة المشرفة والمسجد  
الحرام والمشاعر المقدسة ، تكلم كل منهم بلسان حاله ، فعبر عما يكنه  
لها قلب كل مسلم من الحب والشوق الى مشاهدتها .

---

---

(١) البلوى ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛ انظر الازرقى ، أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٧٤  
ابن علان ، مثير شوق الانام ، ورقة ١٧ ، الحياشي ، الرحلة ، ج ١ ص  
٢٠٤ ، البتونى ، الرحلة ، ص ١٨٩ ؛ محمد كامل حطة ، في ظلال  
الحرمين ، ص ١١١ .

# الفصل الثاني

## إمارة مكة المكرمة في كتب الرحالة لمسلمين

\* إمارة مكة المكرمة .

\* مكة المكرمة أثناء ولاية الأمير مكتد ( ٥٧١-٥٩٧ هـ / ١١٧٥-١٢٠٠ م )

\* مكة المكرمة أثناء ولاية الأمير أبو نعي ( ٦٥٣-٧٠١ هـ / ١٢٥٥-١٣٠١ م )

\* مكة المكرمة أثناء ولاية سيف الدين عفيف وأسد الدين رميئة

( ٧٠١-٧٤٦ هـ / ١٣٠١-١٣٤٥ م )

\* نظام القضاء في مكة المكرمة

يتناول هذا الفصل من الرسالة موضوع امارة امكة المكرمة كما وردت في كتابات الرحالة المسلمين . غير أن الرحالة لم يبدوا اهتماما كبيرا بهذا الموضوع ، ولهذا كانت معلوماتهم ضئيلة للغاية .

وكانت امارة مكة المكرمة تابعة للخليفة العباسي في بغداد مسن الناحية الاسمية ، وكان ميناء جدة يتبع امارة مكة ، فالرحالة ابن جبير ، الذي زار مكة سنة ٥٧٩ هـ ، أشار بتبعية ميناء جدة لامارة مكة المكرمة ، وذكر بأنه عندما نزل ميناء جدة ، كان حاكمها القائد على بن موفق ، وكان هذا القائد يثبت أسماء الحجاج في سجلات خاصة عنده ، وذلك حسب الأوامر الموجهة له من قبل مكثربن عيسى أمير مكة المكرمة .<sup>(١)</sup>

واستمرت تبعية جدة لمكة المكرمة ، فالرحالة التجيبي السبتي الذي زار مكة في القرن السابع الهجري ، ذكر بأنه عندما نزل ميناء جدة كان عاظمها من قبل أمير مكة المكرمة نجم الدين أبي نعي الحسيني . وكانت الأوامر موجهة له أيضا بجمع الضرائب المفروضة على الحجاج والتجار ، ثم ترسل جميعها لأمير مكة المكرمة .<sup>(٢)</sup>

---

(١) ابن جبير ، ص ٥٧ .

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

وكان اسم أمير مكة المكرمة يذكر في الخطبة في الحرم الشريف ،  
فذكر ابن جبير في رحلته أن خطيب المسجد الحرام كان يدعو دائماً  
للخليفة العباسي ، ثم يدعو لأمير مكة المكرمة ثم لسلطان مصر صلاح  
الدين الأيوبي ولولي عهده .

وأضاف ابن جبير بأنه عند ذكر اسم السلطان صلاح الدين الأيوبي  
تخفق الألسنة له بالتأمين عليه في كل مكان ، وذلك لما قدمه لقاطني مكة  
المكرمة من خدمات جليلة في سبيل راحتهم <sup>(١)</sup> . ولعل أهم هذه الخدمات هي  
نشره العدل والأمن والطمأنينة في نفوس السكان المحليين ، والحجساج  
القادمين <sup>(٢)</sup> .

كما أشار الرحالة ابن بطوطة كذلك بأن خطيب مكة كان يدعو للخليفة  
العباسي ، الملك الناصر ، ثم يدعو للسلطان المجاهد نور الدين عليّ  
ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف بن عليّ بن رسول ثم  
للسيد بن الشريفين الحسنين آمري مكة سيفالدين عطيفه ، وأسد الدين  
رميثة <sup>(٣)</sup> .

---

(١) ابن جبير ، ص ٧٣-٨٠ ، انظر زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ،

ص ٧٩-٨٠ .

(٢) علي السليمان ، العلاقات الحجازية ، ص ٨-٩ .

(٣) ابن بطوطة ، ص ١٦١ .



وأشار الرحالة ابن جبیر بأن كسوة الكعبة الشريفة كانت تأتي سنويا من قبل الخليفة العباسي في بغداد ، وكان يقام لها احتفال عظيم بمقدمها بالاضافة الى وصول الخطباء ، وكذلك القضاة من بغداد أيضا .<sup>(١)</sup> وهذا دليل على سيادة الخلافة العباسية على الحجاز وان كانت سيادة اسمية لأنه رغم تبعية مكة المكرمة للخليفة في بغداد إلا أنها كانت تتمتع بقسط وافر من الاستقلال رغم أن أمراءها كانوا يدينون بالطاعة للخليفة العباسي ولصلاح الدين .<sup>(٢)</sup>

وتمتع مكة المكرمة بحالة من الأمن والاستقرار في عصر صلاح الدين الأيوبي ، ويتضح ذلك من كلام الرحالة ابن جبیر حيث ذكر بأنه عندما زار مكة المكرمة في القرن السادس الهجري كانت في حالة آمنة أفضل مما كانت عليه قبل ذلك ، حيث كان اللصوص يهاجمون الحجاج ، ويختلسون ما بأيديهم ، وكانوا يستعملون في ذلك شتى الطرق والهيل .

وذكر ابن جبیر<sup>(٣)</sup> بأن السبب في ذلك هو تشدد أمير مكة المكرمة مكشربن عيسى بن فليته في ملاحظته لحجاج بيت الله الحرام وزواره ،

---

(١) ابن جبیر ، ص ٣٠-٣١ ، عبد القدوس الانصاري ، مع ابن جبیر ، ص

١٩١-١٩٣ .

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٨٠ .

(٣) ابن جبیر ، ص ١٠٠ .

فحافظ عليهم وأنهم من الحرابة ( حاملي الحراب ) المعتدين على الحجاج ، كما آمنهم من اللصوص كذلك ، لدرجة تعجب لها الحجاج والمجاورون القدامى ، حيث أنهم تحدثوا عن الحالة الآمنة التي تمتعت بها مكة المكرمة ، يقول ابن جبير : " فالفينا كل من بها من الحجاج المجاورين ممن قدم عهده فيها وطال مقامه بها يتحدث جهة العجب بأمنها من الحرابة المتلصقين فيها على الحجاج المختلسين ما بأيديهم والذين كانوا آفة الحرم الشريف ، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين الا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة ولطافة غريبة فما منهم الا حد يد القميص فكفى الله هذا العام شرهم الا القليل وأظهر أمير البلد التشدد عليهم فتوقف شرهم " . (١)

والأمير مكثر حاكم مكة المكرمة الذي مدحه الرحالة ابن جبير هو مكثر بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم الحسنى . اشترك هذا الأمير فى حكم مكة المكرمة مع أخيه داود ثم انفرد بحكمها وبلغت مدة حكمه كلها نحو سبع وعشرين سنة من سنة ٥٧١ هـ الى سنة ٥٩٧ هـ . (١)  
فعندما توفى عيسى بن فليته أمير مكة المكرمة سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م تولى امرة مكة بعده ابنه داود ، واستمر حتى عزله الخليفة الناصر العباسى سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٥ م وخلفه مكثر بن عيسى على امارة مكة المكرمة . ومالبيث

(١) ابن جبير ، ص ١٠٠

(٢) ابن زين دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢١ .

داود أن عاد الى مكة في نفس السنة ، وحدث خلاف بينه وبين أخيه مكثر ،  
ثم توسط في الصلح بينهما شمس الدين بن أيوب أخو سلطان مصر صلاح  
الدين يوسف بن أيوب أثناء قدومه من اليمن في طريقه للشام .<sup>(١)</sup>

ولما تولى الأمير مكثر إمارة مكة المكرمة ، وجد أنه في حاجة إلى أن  
يوطد مركزه عندما قام الخليفة العباسي بتقريب بعض بني عمومة عيسى بن  
فليته من الحكم . وما كان من الأمير مكثر إلا أن أخذ يستعد تجاه هذا  
التدخل ، فاشترى الأسلحة ، وجند الرجال ، وبنى له حصنا في أعلى  
جبل أبي قبيس ليتحصن به إذا فكر الخليفة العباسي أو أمير الحاج العراقي  
في مناوشته ، ومع ذلك ظل يخطب للعباسيين وللايوبيين في الخطب  
والمناسبات . ولما علم الخليفة العباسي الناصر بتلك التحصينات اعتبرها  
تحديا من الأمير مكثر فجهز طاشتكين أخو صلاح الدين للتوجه لمكة المكرمة  
وعزل الأمير مكثر عن إمارتها وهدم حصنه ، وكان ذلك في سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م<sup>(٢)</sup>  
وحدث الاشتباك بين الأمير مكثر وأمير الحاج العراقي في نهاية موسم الحج  
من تلك السنة ، مما اضطر الأمير مكثر للهروب إلى حصنه بعد أن قتل  
الكثير من الفريقين<sup>(٣)</sup> ، وكذلك بعد أن نهب الحاج وأخذ أموالهم ، وأموال

(١) ابن فهد ، ورقة ٢٣٩-٢٤٠ ، انظر أيضا العقد الثمين ، ج ٤ ص ٣٥٤-٣٥٥  
السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٢ ، عائشة باقاسي : الحجاز في العصر  
الأيوبي ، ص ٤٤

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٢ ، السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٢  
عائشة باقاسي : الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٤٤

(٣) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص  
٤٣٢ ، الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٣١ ، ابوشامة : الروضتين

التجار ، وعانى أهالي مكة المكرمة كثيرا من هذا القتال ، كما أحرق الكثير من دورها ، وأخيرا استطاع أمير الحاج طاشتكين اخراج الامير مكثر من الحصن قهرا .<sup>(١)</sup>

ولما هدأت الأحوال بمكة المكرمة سلم طاشتكين الامارة الى قاسم بن مهنسا الحسيني فاستمر بمكة ثلاثة أيام ، ولما رأى عجزه عن القيام بأعباء الامارة ، راجع في ذلك أمير الحاج طاشتكين فعهد بالامارة لداود بن عيسى وأمره بهدم القلعة التي كانت على جبل أبي قبيس . وفى هذا العام (٥٧١هـ) لم يوف أكثر الناس مناسك حجهم ، ورحلوا بعد أن أخذوا<sup>ثمن</sup> والمواد والعهود على أمير مكة داود بالآلا يغير شيئا مما اشترط عليه من اسقاطه للمكوس التي فرضها الأمير مكثر .<sup>(٢)</sup> ولم تذكر المصادر مدة ولاية الأمير داود وانما استمر حكم الأمير مكثر بن عيسى والامير داود لمكة المكرمة فيما بينهم بالتداول ، وأخيرا استأثر الأمير مكثر بحكم مكة عشر سنين متتالية كان آخرها سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .

وأشار الرحالة ابن جبير الى الاحتفال الذى شاهده فى مكة المكرمة فى ولاية الأمير مكثر ، ولغت نظره هذا الاحتفال العظيم الذى أقيم بمقدم

(١) ابن زيني دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢١

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ، الفاسى ، العقد الثمين

ج ٧ ، ص ٣١-٣٢ ، ابن زيني دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢١ .

سيف الاسلام طفتكين أخى صلاح الدين الأيوبي ، والذي أقامه له الأمير مكثراً وكانت الأخبار قد وردت له بوصوله الى ينبع . وذكر ابن جبير<sup>(١)</sup> أن الأمير مكثراً خرج طائفاً ومودعاً للبيت الحرام ليذهب لاستقبال الأمير طفتكين كما هي العادة المتبعة اذا سافر الأمير أو حضر من السفر .

وفي اليوم الثاني وصل الأمير طفتكين لمكة المكرمة ، وضرب أبنيتهم في منطقة الزاهر ، وتوجه للكعبة الشريفة في احتفال عظيم اشترك فيه الرجال والنساء ، وأظهر فيه الجميع السرور بسلامة وصوله . ولما دخل طفتكين المسجد الحرام كان القاضي عن يمينه وزعيم الشيعيين عن يساره ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء ولأخيه صلاح الدين ، ثم طاف في وسط هذا الاحتفال الكبير ، كما كان المؤذن الزمزمي الذي على أعلى قبة زمزم رافعاً صوته بالدعاء له . ثم توجه بعد الطواف للسعى بين الصفا والمروة . ثم بادر الشيعيون بفتح باب الكعبة ، فدخلها مع الشيعي وصلى فيها ولما خرج منها ، فتح بابها ودخلها باقى العامة للصلاة . ووصف ابن جبير هذا اليوم قائلاً : وكان هذا اليوم بحكمة من الأيام الهاطقة الحنظرة ، المحجبة المشهدة ، الغربية الشاهقة فسبحان من لا ينقض ملكه .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير أيضاً بأن الأمير مكثراً توجه للكعبة المشرفة

(١) ابن جبير ، ص ١٢٤ ، انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته

ص ١٨٧ .

(٢) ابن جبير ، ص ١٢٤

فى اليوم الثانى مرتديا حلة ذهبية خلعتها عليه الأمير سيف الاسلام طفتكين  
وطاف بالبيت الكريم فى احتفال عظيم شاكرًا لله على ما وهبه هذا الأمير مسن  
مكرمة . (١)

وكان أمراء مكة المكرمة يفرضون المكوس على التجار وعلى الحجاج  
الوافدين لبيت الله الحرام ، وكانوا يجمعونها عنوة . وكان الجميع يلاقون  
صعوبة شديدة فى أدائها ، مما اضطر السلاطين للتدخل فى الأمر ، وأجبروا  
أمراء مكة على رفع هذه المكوس مقابل تعويض يرسل لهم . وأشار الرحالة ابن  
جبير عن المكوس المفروضة فى عهد ولاية الأمير مكتر ، وذكر أيضا أن للأمير  
مكتر عاملًا فى ميناء جدة ، كان يقوم بجمع هذه المكوس المفروضة ، وأشار  
أيضا بأن السلطان صلاح الدين رفع هذه المكوس ، وعوغل الأمير مكتر مقابلها  
ألف دينار وألف أردب قمح بالإضافة الى اقطاعات أقطعها له فى صعيد مصر  
واليمن ، وذكر بأن مجموع هذه التعويضات بلغت ما قيمته ثمانية آلاف أردب  
قمح ، تحمل له سنويا الى ميناء جدة . (٢)

(١) ابن جبير ، ص ١٢٦

(٢) ابن جبير ، ص ٤٨-٤٩ ، انظر ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٠ ،  
سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢١٤ ، المقرئى ، الخطط  
ج ٢ ، ص ٢٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ،  
ص ٧٨-٧٩ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣-٤

وأشار الرحالة التجيبي السبتي أنه لما زار مكة المكرمة سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ م كان أميرها أهونى محمد بن حسن بن على بن قتادة بن ادريس الحسنى ، ويلقب بنجم الدين . وتولى امرة مكة نحو خمسين سنة الا أوقاتا يسيرة <sup>(١)</sup> .

وأشار التجيبي السبتي أيضا أنه فى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م آلت امارة مكة المكرمة الى أسرة قتادة بن ادريس جد أبى نعى ، ويرجع قيام أسرة قتادة فى امارة مكة المكرمة الى جهود الشريف أبى عزيز قتادة بن ادريس صاحب ينبع ، الذى انتزع الحكم من مكثر سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، وأسس لأسرته حكما فيها فى نفس السنة <sup>(٢)</sup> ، وقد امتد حكم قتادة كما أشار التجيبي السبتي الى سنسة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م عندما قتل وكان عمره تسعين عاما ، وقيل أن ابنه الحسن قتله خنقا بالاتفاق مع جارية و غلام له ، ولكن الحسن لم يتمتع بالحكم طويلا اذ استدعاه أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس بن المستضى العباسى واعتقله الى أن مات ذليلا ، وتولى امرة مكة المكرمة بعده أبو سعيد الحسن والد أبى نعى فى سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، ودامت ولايته الى أن قتله

---

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٥ ، انظر الفاسى ، العقد الثمين ج ١ ص —

٤٥٦-٤٥٧ .

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٥ ، انظر ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٥ الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٨-١٩٩ ، عائشة باقاسى ، الحجاز فى العصر الايوبى ، ص ٥٥ .

بنو عمومته ادريس بن حسن بن قتادة بالاشتراك مع أخويه جمار وأحمد وذلك سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م <sup>(١)</sup> وأشار أيضا التجيبي السبتي أنه عندما دخل أبونمي مكة المكرمة مع عمه بهاء الدين أبي بكر ادريس سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م ، كان حكم مكة المكرمة بينهما على السواء ، واستمر حتى سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ثم حدث أن اعتدى ادريس عم أبي نمي بن سعد على ولده بالحرم فقتله ، وخاف بعدها أبونمي على نفسه ، فهرب من مكة إلى ينبع ، واستجار بالعرب ، وكان محبوبا عندهم ، فاجتمع له عدد لا بأس به ، ودخل مكة المكرمة عنوة ، وقتل عمه ادريس بيده ذبحا ، ونهب العرب مكة المكرمة ، كما سلبوا الكتب الموقوفة على الحرم الشريف واستبد أبونمي بالأمر ، وذلك في سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م <sup>(٢)</sup> .

ووصف الرحالة التجيبي السبتي الأمير أبا نمي بأنه كان محبوبا من القبائل العربية فكانوا يحبونه ويعظمونه كثيرا حيث كان يتميز بالأخلاق الحميدة ، والخصال الكريمة كما كان حليما شجاعا <sup>(٣)</sup> .

وأشار الرحالة التجيبي السبتي أيضا بأنه شاهد الأمير أبا نمي أثناء

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٩ ، انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤

ص ٢٧٣ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠١

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٦

(٣) التجيبي السبتي ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٨ ، ص ٤٧١



دخوله للحرم الشريف ، وأثناء خروجه ، وذكر بأنه عندما قصد الحجر الأسود ليقبله سبقه البعض ليحاولوا إبعاد الناس عن الحجر حتى ينتهي الأمير من تقبيله ، إلا أنه نهاهم عن ذلك وقال لهم : " إنما أريد أن أقبل الحجر فى نوبتى " . كما ذكر أيضا الرحالة السبتي من تواضع هذا الأمير ، أنه عندما قام للصلاة وراء مقام إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام ، تقدم البعض بين يديه ، وسطوا له ثوبا ليصلى عليه فلم يقبله الأمير ، ونحاه وصلى على الأرض كغيره من العامة .<sup>(١)</sup>

وحالة مكة المكرمة فى فترة حكم الأمير أبى نعى كما شاهدها الرحالة التجيبى السبتي كان يسودها الأمن والاستقرار والهدوء ، وظهر ذلك على حياة سكانها ومجاوريها كذلك ، وتحسنت معيشتهم ، وظهر هذا التغير فى ما كلبهم وملبسهم ، وتأنقوا فى أطعمتهم وأشربتهم ، كما لبسوا أفخر الثياب ، فظهرت النعمة عليهم لدرجة لاحظها الحجاج القدامى من مجاورى بيت الله الحرام ، وكان حديثهم عن الهدوء والاستقرار والنعمة التى ظهرت بها مكة المكرمة ، فدعوا للأمير أبى نعى على المنابر . وأشار التجيبى السبتي قائلا : " لقد كان دعاؤهم " اللهم أرض عن السيد الحسيب النسيب ذى الرئاستين مالك الحرمين الشريفين من جده الرسول ، وأمه البتول ، وأبيه سيف الله المسلول أبى نعى بن أبى سعد ابن على بن قتادة بن ادريس بن

مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله  
ابن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي أبي طالب  
صلوات الله عليهم أجمعين .<sup>(١)</sup>

ويبدو من كلام الرحالة أن الأمير أبا نعي امتنع عن أمور كانت تسبب  
ضررا كبيرا لجموع الحجاج ، وأشار الرحالة التجيبي أن حجاج مكة المكرمة  
القدامي كانوا يتعجبون من الشريف أبي نعي لأنه كف يده عن أخذ أموال  
الحجاج والمجاورين ، ومن كانت له أموالا وثروة طائلة ، وأصبحوا يأمنون  
بعد ذلك على أموالهم ومائهم<sup>(٢)</sup> ، ولما سأل الرحالة عن سبب كف يد الشريف  
أبي نعي ، أجيب بأنه رأى بالمنام رؤيا رجع بعدها عن كثير من أعماله وتساق  
لله تعالى .<sup>(٣)</sup>

كما أشار الرحالة التجيبي السبتي أيضا بأن للأمير أبي نعي أولادا ،  
كثيرة بلغوا أكثر من عشرين ، وأنه شاهد منهم رميثة ، وحميضة وأبا الغيث<sup>(٤)</sup> .

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٨

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، انظر الفاسي ، ج ١ ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ،

ابن زيني دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢٨ .

(٣) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٨

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٠٧

وتوفي الأمير أبو نعي سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م وتولى بعده ولداه حميضة  
(١) ورميثة .

أما عن إمارة مكة المكرمة في عهد سيف الدين عطيفة وأسد الدين  
رميثة ابني الأمير أبي نعي فقد أشار الرحالة ابن بطوطة بأن الأمير رميثة كان  
أكبر سنا من الأمير عطيفة إلا أن عطيفة كان يقدم عليه في الدعاء وذلك  
لعدله . (٢) وأشار ابن بطوطة أيضا بأن من أولاد رميثة أحمد وعجلان ، ونقبة  
وسند ، وأولاد عطيفة هم : محمد ، ومبارك ، ومسعود . (٣)

وذكر الفاسي أن رميثة كان يكنى أبا عرادة ، ويلقب أسد الدينين ،  
وأنه تولى إمارة مكة المكرمة حوالي ثلاثين سنة في سبع مرات ، استقل  
بالولاية في أربع عشرة سنة ونصف تقريبا ، وشارك أخاه حميضة حوالي عشرين  
سنوات تقريبا ، كما شارك عطيفة خمس سنوات ، وتوفي سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م (٤)

أما عن عطيفة فذكر الفاسي أيضا أن تولى إمارة مكة المكرمة نحو  
خمس عشرة سنة كان مستقلا في بعضها ، ومشاركا لأخيه رميثة في بعضها الآخر

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٠٧ ، المقریزی ، الذهب المسبوك ، ص ٦١

(٢) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق ص ١٤٨

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ص ٤٠٣-٤٠٤

وكانت وفاته سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م<sup>(١)</sup>

وما ذكره الرحالة ابن بطوطة من أن اسم الأمير عطيفة يقدم فسى الدعاء على اسم أخيه الأمير رميثة لعدله ، يفسره ما ذكره الفاسى فى كتابه العقد الثمين بأن مكة المكرمة كانت تتمتع فى عهده بحالة جيدة من الأمن والهدوء ، وعم الخير سكان مكة المكرمة ، كما وصلت إليها الأموال والغلال ، وجاءها من الزوار خلق كثير ، ويرجع السبب فى ذلك الى عدل أميرها عطيفة ابن أبى نعى الذى كان محمود السيرة ، كما أشار الفاسى بأنه فى عام ٧٢٢ هـ ، أبطل الأمير عطيفة المكس الذى كان مفروشا على المأكولات ، وعوضه سلطان مصر بأرض فى صعيد ها .<sup>(٢)</sup>

ولم يشر الرحالة ابن بطوطة الى تفصيلات عن أعمال وجهود كل من الأميرين عطيفة ورميثة ، وما ذكره هو أن منزل عطيفة كان يقع على يمين المروة<sup>(٣)</sup> بينما ذكر الفاسى أنه كان يسكن بهياط أم الخليفة الناصر لدين الله العباسى ، بالجانب الشامى من المسجد الحرام ، ولذلك سعى هذا الرباط باسم رباط العطيفية ، وذلك لكثرة سكن عطيفة به .<sup>(٤)</sup>

(١) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٩٥ ، انظر ترجمته فى ابن حجر

المسقلانى ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٦٧

(٢) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ص ٩٦-٩٧

(٣) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

(٤) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٠١

كما نذكر ابن بطوطة بأن منزل الأميرميثة كان عند باب بنى شمية<sup>(١)</sup>  
وأشار ابن بطوطة أيضا بأنه فى مستهل شهر رجب ٧٢٦ هـ أمر عطيفة  
ورميثة يضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول شهر رجب المبارك ، وحضرا  
الاحتفال الذى أقيم ومعهما أولادهما وقوادهما .<sup>(٢)</sup>

وكانت وظيفة القاضى فى مكة المكرمة كما هو الحال فى سائر المدن  
الاسلامية وظيفة فى غاية الأهمية ، وكان القضاة يحكمون وفق القرآن الكريم  
والسنة المحمدية ، ولا بد أن يكون القاضى بالغا عاقلا ، حرا ، عادلا ، سليم  
الحواس متبحرا فى الفقه ومشهودا له بالاستقامة وما الى غير ذلك من الصفات  
الأساسية التى لا بد من توافرها فى القاضى فى أى زمان ومكان .<sup>(٣)</sup> وكانت  
وظيفة القضاء فى مكة المكرمة لها أهمية كبرى ، فقد كانت هى الوظيفة  
الثانية فى الأهمية بعد وظيفة الأمير . وذكر القلقشنندى فى كتابه "صبح  
الأعشى " نص مرسوم يدل على أهمية وظيفة القاضى وعظمتها ومكانتها الدينية  
فى مكة المكرمة . وافتتح المرسوم بالبسطة والثناء على الله عز وجل ، وعلى  
رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ثم أوضح أهمية وظيفة القضاء بأنها  
" هى أجل منصب بتلك الأباطح ، ونورها فى الجبين لائح ، فان الشرع

( ١ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ١٦٣

( ٣ ) انظر الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٦٦

نشأ منها ، والوحي أنزل فيها . . . <sup>(١)</sup> وفي نهاية المرسوم جاءت وصية للقاضي بأن يكون قضاؤه بالحق على خصومه .

وكان تعيين القضاة في مكة المكرمة يتم من قبل سلاطين مصر ، حيث كان للسلطان الحق في تعيين القاضي ، كما كان له الحق في عزله ، بالإضافة الى أن مرتبات القضاة كانت تصل اليهم من قبل سلاطين مصر كذلك . وأشار الرحالة ابن بطوطة بأن السلطان هو " الذي يتولى كسوة الكعبة الشريفة ويبيع مرتبات القاضي والخطيب والأئمة ، والمؤذنين ، والفراشين وكل ما يحتاج اليه الحرم الشريف من الشمع والزيت في كل سنة " . <sup>(٢)</sup>

وكانت تلقى على القاضي في مكة المكرمة مهام كثيرة ذكرها ابن جبير <sup>(٣)</sup> منها : أنه كان يحضر الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها أهل مكة المكرمة في أول كل شهر ، كما كان عليه أن يؤم الناس بالصلاة بعد انتهاء مناسك العمرة في مستهل كل شهر ، ويحضر حفل اختتام القرآن الكريم الذي يقام في شهر رمضان المبارك ، بالإضافة الى أنه كان يؤم المصلين في صلاة العشاء وخاصة في ليالي الوتر من العشر الأواخر من الشهر المبارك . كذلك كان على القاضي أن يصلي بالناس صلاة عيد الفطر ، كما كان عليه أن يؤمهم

( ١ ) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

( ٢ ) ابن بطوطة ، ص ١٧١

( ٣ ) ابن جبير ، ص ١٣١ - ١٣٥

ففي صلا لا تستسقا اذا أصاب مكة المكرمة قحط أو جفاف ، كما كان عليه مرافقة أمير مكة المكرمة اذا شرع في تأدية مناسك العمرة ودخوله الى الحرم الشريف وأشار ابن جبير أيضا بأن الأمير طغتكين عندما دخل الحرم رافقه قاضي مكة وكان على يمينه ، بينما كان زعيم الشيعيين على شماله .

وكان من مهام القاضي في مكة المكرمة أن يخطب في الناس ليحثهم وينصحهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ومن مهامه كذلك ثبوت رؤية الهلال عنده أولا بشهادة من رآه ، ثم على القاضي إعلان هذه الرؤية اذا صحت رؤيتها . وأشار الرحالة ابن جبير ما حدث في هلال شهر ذي الحجة في عام ٥٧٩ هـ ، الذي ارتقبه الناس ، فذكر ابن جبير قائلا <sup>(١)</sup> : " كان للناس في ارتقابه أمر عجيب ، وشأن من البهتان غريب ، ونطق من الزور كاد يعارضه من الجماد فضلا عن غيره رد وتكذيب ، وذلك أنهم ارتقبوه ليلة الخميس الموفى ثلاثين ، والأفق قد تكاثف نوؤه ، وتراكم غيمه ، السى أن علت مع المغيب بعض حمرة من الشفق فطمع الناس في فرجه من الغم لعل الأبصار تلتقطه ، فبينما هم كذلك كبر أحدهم فكبر الجم الغفير لتكبيره ، ومثلوا قياما ينتظرون مالا يبصرون ، ويشيرون الى ما يتخيلون " . ثم توجه جماعة منهم في اليوم الثاني لقاضي مكة ، وأدلوها بشهادتهم عنده ، ونادوا بأن الوقفة بعرفات هي يوم الجمعة ، الا أن قاضي مكة المكرمة ردّهم وقال لهم :

---

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٠٦ وما بعدها .

" يا قوم حتام هذا التماذى فى الشهوة ، والام تستنون فى طريق الهفوة " وبقيت الشهادة عند قاضى مكة المكرمة مضطربة ، الى أن جاءته الأخبار من أهل الثقة والزهد والورع ، ومع اليمنيين وغيرهم الواصلين من المدينة المنورة وأرجأ الأمر حتى جاءه المبشر من قبل أميرالحاج العراقى ، وكان ذلك فى اليوم السابع من شهر ردى الحجة من عام ٥٧٩ هـ ، فأعلن بعدها للناس يوم وقفهم بعرفة ، ثم وجب عليه أن يخطب فى الناس ، وأن يحثهم على الجهاد الأكبر ، ثم يعلن لهم بعد ذلك بأن غدا هو يوم الصعود الى منى حيث تتم بعدها شعائرالحج .

هكذا كانت وظيفة القاضى من الوظائف المهمة فى مكة المكرمة ، وكانت هذه الوظيفة تنتقل فى الأسر العريقة بمكة التى اشتهرت بالعلم والثقافة وكان من هذه الأسر ، أسرة النويريين وأسرة آل ظهيرة القرشى ، وأسرة الطبريين التى كانت من الأسر المجاورة لحرم الله الآمن ، ثم أصبحت بعد مدة جزءاً من المجتمع المكي ، ولا يمكن أن تتفصل عنه . ووصل بعض أفراد هذه الأسرة الى المناصب العليا فى الدولة ، وكان لهم اتصالات بأمرائها . وأشار الرحالة ابن بطوطة الى قاضى مكة المكرمة اثناء زيارته لها وهو من الطبريين ، وكان يدعى نجم الدين محمد ابن الامام العالم محب الدين الطبرى .<sup>(١)</sup> وأشار الفاسى<sup>(٢)</sup> أن هذا القاضى ولد سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م

(١) ابن بطوطة ، ص ١٤٩

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، انظر أيضاً ابن العماد ،

شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٩٤ .



وسمع الكثير عن أبيه الشيخ محب الطبرى ، وهو عالم متفقه ومشهور بمكة المكرمة ، سمع منه سنفن أبى داود ، وسمع كذلك الكثير على غيره ، حتى أصبح فقيها ، وقام بالتدريس بمكة المكرمة ، كذلك كان قمة فى الافتاء على المذهب الشافعى ، وكان يقصده الكثير من أهالى اليمن والحجاز ويستفتونه ، وكان صدوقا معظما ، كما كان منصفا فى القضاء . وأغاف ابن بطوطة بأن الشيخ نجم الدين محمد كان فاضلا كثير الصدقات ، يواسى الفقراء ويحسن معاملته المجاورين كما كان يطعم الطعام فى المواسم الشهيرة ، ويطعم شرفاء مكة المكرمة وكبراءها ، وخدام حرمها الشريف .<sup>(١)</sup>

ويرجع نسب القضاء فى مكة المكرمة من آل الطبرى الى القاضى نجم الدين محمد ان أنه أول من تولى هذه الوظيفة من الطبريين وكان فى ولاية الأمير أبى نعى فهو الذى ولاه هذا المنصب ، ثم وافقه على ذلك السلطان المنصور قلاوون وولده السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، واستمر هذا القاضى فى منصب القضاء فى مكة المكرمة مدة طويلة حتى وفاته سنة ٧٣٠ هـ .<sup>(٢)</sup>  
١٣٢٩ م .

وأشار أيضا الرحالة ابن بطوطة الى القاضى شهاب الدين ابن القاضى نجم الدين محمد الطبرى . وهذا القاضى هو أحمد بن محمد الطبرى المشهور بشهاب الدين ، وأبى الفضل كذلك<sup>(٣)</sup> ، ولد شهاب الدين بمكة

( ١ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٩

( ٢ ) ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٦ ، ص ٩٤

( ٣ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٩

المكرمة سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، وتفق على يد جده لأمه الرضى امام المقام ، وسمع منه كثيرا ، كما نسمع من غيره أيضا ، وقام بالتدريس فى المدرسة المنصورية ، وكذلك فى المدرسة المجاهدية ، وذلك بتفويض من الملك المجاهد نور الدين على بن داود ، كما اشتغل كذلك بالقضاء فى مكة المكرمة بعد أبيه ، وذلك باذن من أمير مكة الأمير عطيفة ابن أبى نى ، ثم بتفويض من الملك المجاهد ملك اليمن فى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م . وتولى كذلك الخطابة بالحرم الشريف سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م من قبل الناصر محمد بن قلاون سلطان مصر . وكانت للقاضى شهاب صلة قوية بالسلطان الناصر محمد كما كانت لوالده كذلك صلة قوية به ، واشتهر القاضى شهاب بالزهد والورع والتقوى وعدم الاهتمام بالمناصب ، وقيل أن السلطان المملوكسى عزل خطيب مكة بهاء الدين الطبرى ، ثم أضاف وظيفته الى وظيفة القاضى شهاب الدين الا أن القاضى كتم هذا الخبر عن الخطيب بهاء الدين مدة طويلة ، حتى توفى بهاء الدين وهو يخطب دون أن يبلغ هذا الخبر .<sup>(١)</sup>

ومن قضاة مكة المكرمة الذين أشار اليهم الرحالة ابن بطوطة ، محمد ابن فهد القرشى ، وذكر أنه من فضلاء امكة المكرمة وأنه كان ينوب عن القاضى نجم الدين .<sup>(٢)</sup>

---

(١) الفاسى ، المعقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١٦٢ ، على السليمان ، العلاقات الحجازية ص ١٤٢ ، وعن المدرسة المجاهدية انظر الفصل الخامس ص ١٦٢ .  
(٢) ابن بطوطة ، ص ١٥٢ .

وابن فهد هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله القاضي جمال الدين ابن فهد القرشي الهاشمي المكي ، ولد بمكة سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م سمع الكثير من الكتب منها صحيح مسلم ، والبخارى ، والموطأ وغيره . وتفقه محمد ابن فهد على يد قاضي مكة المكرمة نجم الدين الطبري ، وصحبه ولازمه وانتفع كثيرا من صحبته حتى أنه ناب عنه في قضاء مكة ، كما ناب عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي نجم الدين ، وكان يستفتيه أهل مكة المكرمة كما كان نزيها قولا للحق عظيما ، لم يكن عنده تكلف ، وكثيرا كان يجلس للحكم في السوق في أغلب النهار <sup>(١)</sup> . واشتغل القاضي محمد بن فهد بجانب القضاء بالتجارة ، وحصل أموالا طائلة ، وترك تركة عظيمة من العقاقير وغيرها ، وتوفي بمكة المكرمة سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م . <sup>(٢)</sup>

وبعد فهذه لمحة عما أشار به الرحالة المسلمون عن إمرة مكة المكرمة في عهد زيارتهم لها ، وأوضح هذا الفصل الحالة التي كانت عليها مكة المكرمة في عهد ولاية الأمير مكثربن عيسى ، والأمير أبي نسي ، والأميرين أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة ، كما بينت الدراسة طبيعة وظيفة القاضي خلال تلك الفترة التاريخية .

---

( ١ ) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٧٩-٨٠

( ٢ ) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦١-١٦٦

# الفصل الثالث

## الأحوال الاقتصادية في مكة المكرمة كما وردت في كتب الرحالة المسلمين

- \* النشاط التجاري والعملات النقدية
- \* الموارد المائية وغيرها
- \* بعض الحرف والصناعات

كان لموقع مكة المكرمة أهمية كبيرة في تقدم أحوالها الاقتصادية، وكان لهذا الموقع الاستراتيجي الذي امتازت به أم القرى وتفردت به على غيرها من المدن أكبر الأثر في نشاطها التجاري .

فمنذ أقدم العصور سارت القوافل التجارية من اليمن عبر الأراضي الحجازية مارة بمكة المكرمة ، وواصلت سيرها الى مصر والشام والعراق ، وكانت مكة تعتبر من أهم المدن التجارية في إقليم الحجاز ، وذلك لتوسط موقعها بين الشام واليمن ، فهي على طريق القوافل التجارية الصادرة والواردة ، مما جعلها مركزا هاما للتجارة <sup>(١)</sup> ، بل انها كانت من أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الهجري ، وأشار ابن جبير الى ذلك قائلا : " والطريق اليها ملتقى الصادر والوارد " <sup>(٢)</sup> لذلك كانت مكة المكرمة محطة تجارية تزود منها القبائل بالماء والمؤونة ، ثم تتابع بعدها رحلتها شمالا أو جنوبا .

وهناك عدة عوامل ساعدت على ازدهار التجارة بمكة المكرمة ، كان من أهمها وجود الكعبة المقدسة بها ، مما جعل مئات الألوف من الحجاج يقصدونها في موسم الحج ، فنشطت حركة التجارة فيها وازدهرت <sup>(٣)</sup> . وكان

(١) احمد ابراهيم شرف ، مكة والمدينة ، ص ١٩

(٢) ابن جبير ، ص ٩٧-٩٩

(٣) علي بن الحسين ، النشاط التجاري ، ص ٨٦

لموسم الحج فى مكة المكرمة آثاره البعيدة المدى ، حيث كانت تقام فيها أسواق عامة ، وكانت إقامة هذه الأسواق يعدّ تقليدا من تقاليد الحج ، لأنها كانت فى أيام معلومة وفى أماكن مستقرة .

ومما زاد من أهمية مكة المكرمة تجاريا قربها من ميناء جدة الذى يقع على ساحل البحر الأحمر ، ويبعد عن مكة بمقدار أربعين ميلا .

وبالإضافة الى ميناء جدة ، كانت الشعبية التى تبعد عن جنوب جدة نحو اثني عشر ميلا لمكة المكرمة<sup>(٢)</sup> ، إلا أن ميناء جدة أنشط تجاريا كما كانت هناك عدة طرق تجارية تربط جدة بمكة المكرمة شرقا وينبع شمالا ، واليمن جنوبا .<sup>(٣)</sup>

وهناك طرق تجارية كان لها أهمية كبيرة فى النشاط التجارى فى مكة المكرمة ، منها طريق صحراوى من مدينة قوص فى صعيد مصر ، ويتجه منها عبر الصحراء الى ميناء عيذاب المواجه لميناء جدة ، وهذا الطريق ذاعت شهرته فى التجارة فى العصور الوسطى<sup>(٤)</sup> . وكان الحجاج والتجار وغيرهم

(١) أحمد ابراهيم شرف ، مكة والمدينة ، ص ١٨٤-١٨٥ ، انظر عائشة بقاسى الحجاز فى العصر الايوبى ، ص ٨٣

(٢) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ ، لبواهم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٣ ، العلاقات الحجازية ص ١٩٢

(٣) على بن الحسين ، النشاط التجارى ، ص ٩٧-٩٨

(٤) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزة ، ص ١٣٧

يعبرون البحر الأحمر من عيذاب الى جدة وبالعكس وقد سلك هذا الطريق الرحالة ابن جبير في طريقه للأراضي المقدسة ، كما أنه الطريق الذي سلكه حجاج مصر والمغرب لسنوات طويلة .

وأشار الرحالة ابن جبير الى أن ميناء عيذاب يقع على ساحل البحر الأحمر وأن أكثر بيوتها من الأخصاص ، وكان بها بعض مباني من الجص . ويعتبر هذا الميناء من أحفل وأعظم المراسي ، وذلك لأن مراكب الهند واليمن واردة وصادرة منها واليها <sup>(١)</sup> . بالاضافة الى أنها كانت تعتبر مركزاً لقوافل الحجّ الذين يعبرون البحر الى جدة . <sup>(٢)</sup>

وعن طريق قوص - عيذاب قال ابن جبير : " وربما في هذا الطريق احصاء القوافل الواردة والصادرة ، فما تمكن لنا ، ولا سيما القوافل العيذابية المحطة من سلع الهند الواصلة الى اليمن ثم من اليمن الى عيذاب " <sup>(٣)</sup> . وقد سلك هذا الطريق الرحالة التجيبي السبتي عندما توجه للحج ، وأشار الرحالة التجيبي السبتي الى أن هذا الطريق ملتقى

(١) ابن جبير ، ص ٤٥ ، انظر المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢-٢٠٣

(٢) ابن جبير ، ص ٣٠-٣١ ، انظر زكى محمد حسن ، الرحالة

المسلمون ، ص ٧٩

(٣) ابن جبير ، ص ٣٩ - ٤٠

تجار آسيا وعدن ، الذين كانوا يعرفون بين المصريين بالأكارم . (١)

وذكر أيضا الرحالة التجيبي الى أنه كان لهؤلاء التجار خان خاص لهم في مدينة قوص ، والتي كانت مركزا علميا وتجاريا متميزا . واستمر حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة المكرمة الا من صحراء عيذاب ، فكانوا يركبون النيل من ساحل مصر الى قوص ، ثم يمتطون الابل من قوص الى عيذاب عبر الصحراء ، وبعد ها يركبون البحر في مراكب الى جدة

وأشار أيضا الرحالة التجيبي السبتي الى أن المسافة بين قوص و عيذاب تبلغ حوالي مائتي ميل وكان المسافر يقطع هذه المسافة في الغالب في يومين

---

(١) التجيبي السبتي ، ١٧٣ - ٢١٥  
الأكارم أو الكارمية هم فئة من كبار التجار ، كان لهم دور عظيم في التجارة احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل والسلع الاخرى ، وتمركز نشاط الكارمية في المحيط الهندي ، واتخذ الكارمية قواعد لهم في موانئ ساحل الهند الغربي ، وفي الخليج العربي ، وعند مدخل البحر الأحمر ، ثم أصبحت عدن وموانئ البحر الأحمر مراكزهم التجارية ، وكانت أول إشارة في المصادر المتداولة عن هؤلاء الكارمية يرجع الى سنة ٥٦ هـ / ١٠٦٣ م واستمر نشاطهم طيلة العصر الأيوبي ، ومعظم عصر سلاطين المماليك . انظر ، أحمد دراج ، عيذاب ، مجلة نهضة افريقيا ، عدد يوليو - أغسطس ١٩٥٨ م ، حسنين زعيم : البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ص ١٤-١٦ ، النظم المالية في مصر زمن الايوبيين ، ص ١٦ .



وليلة أو ما يقرب من ذلك . (١)

ومن الطرق التجارية الداخلية المؤدية الى مكة المكرمة طريق الطائف .  
وأشار الرحالة ابن جبير الى أن الطائف على مسيرة ثلاثاً أيام من مكة  
المكرمة ، وكانت ترد الى مكة المكرمة عبر هذا الطريق الفاكية بأنواعها من  
الطائف ومن القري التي حولها . (٢)

أما عن أنواع السلع والمتاجر التي كانت ترد الى مكة المكرمة فهي  
عديدة ومتنوعة منها الذخائر النفيسة كالجواهر ، والياقوت وسائر الأحجار  
الكريمة واللباس ، والرياش ، والفراش ، بالإضافة الى أنواع الطيب كالمسك ،  
والكافور ، والعنبر ، والعود ، وأنواع البخور المختلفة ، واللادن ، والمصطكى  
وكانت هذه القضايع ترد الى الحجاز . (٣)

وأشار الرحالة البلوى الى أن ما يجلب الى مكة المكرمة كان يفوق  
ما يجلب الى عشر مدن من أمثالها في عدد السكان ويقول الرحالة " فلا يكاد  
يشتهي الحاج شيئاً الا ويجده فيها " . (٤)

( ١ ) التجيبى السبتي ، ص ١٧٣-٢١٨ ، انظر المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٩٩ .

( ٣ ) ابن جبير ، ص ٩٧ ، البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، انظر نعيم زكى ،

طرق التجارة ، ص ٢٢٦ ، حسنين ربيع ، البحر الاحمر ، ص ١١٦ ،

شكيب ارسلان ، الارتسامات اللطاف ، ص ١٠-١٦

( ٤ ) البلوى ، ج ١ ، ص ٣٠٧

ومن السلع التي كانت ترد الى مكة المكرمة التوابل بأنواعها<sup>(١)</sup> كذلك من أنواع السلع التي كانت ترد الى مكة المكرمة القرقة ، وكانت التجارة بها مربحة ، وكذلك القرنفل وقد نقله العرب عن طريق الخليج العربي أو البحر الأحمر من الشرق<sup>(٢)</sup> . وكذلك من أنواع السلع السمن ، والعسل وقصب السكر ، والزبيب الأسود والأحمر ، بالإضافة الى أنواع الحبوب كالحنطة وغيرها<sup>(٣)</sup> ، أغف الى ذلك السلع الواردة الى مكة المكرمة من منتجات أفريقية مثل الصمغ ، والعاج ، والدقيق ، والتمر . وكذلك كان ترد لأسواق مكة منتجات يمنية كالجلود والثياب والبخور ، وكانت تأتيها كذلك قوافل بالمنتجات الشامية والمصرية مثل الزيوت والفلال<sup>(٤)</sup> .

وعبر ابن جبير عن السلع الواردة لأسواق مكة المكرمة قائلا : " التي مالا ينحصر ولا ينضبط ، ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولعم جميعها بالمنفعة التجارية ، فما على الأرض سلعة من السلع ، ولا ذخيرة من الذخائر الا وهي موجودة فيها " .<sup>(٥)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٣٩-٤٠

(٢) نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ، ص ٢٠٤ ، حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ ، وثائق الجنيزة ، ص ٢٣ .

(٣) ابن جبير ، ص ٩٦-٩٧ ، ابن بطوطة ، ص ١٣٢

(٤) علي بن الحسين ، النشاط التجاري ، ص ١٥٠-١٥١

(٥) ابن جبير ، ص ٩٧

ومن الأسواق الشهيرة بمكة المكرمة ، والتي أشار اليها الرحالة المسلمون ، سوق كان على طول الصفا والمروة وهو سوق حافلة . وأشار الرحالة ناصر خسرو من رحالة القرن الخامس الهجرى بأنه عندما ينزل الحاج من جبل المروة فانه يجد هذه السوق . وأشار الى وجود عشرين دكانا بهذه السوق ، وكان يشغل بعضها حجامون لحلق الرأس ، وأشار بأن هذه السوق كانت تقع ناحية الشرق .<sup>(١)</sup> وذكر الرحالة ابن جبير وغيره ما يدل على أن هذا السوق استمر قائما سنوات طويلة في مكة المكرمة ، وذكر الرحالة بأنه شديد الزحام ، وذلك لأن حوانيت الباعة كانت تحيط به . وكان يتوفر فى هذا السوق جميع أنواع الفاكهة والحبوب ، وسائر المبيعات . كما أشار الرحالة ابن جبير وغيره الى أن هذا السوق كان يعوق الساعين فيها وذلك لشدة ازدحامه بالناس حيث أنه لا توجد فى مكة سوق منتظمة غيرها .<sup>(٢)</sup>

ووصف هذا السوق الرحالة العياشى ، رحالة القرن الحادى عشر الهجرى ، فذكر بأنه أنهى سعيه بعد عناء ومزاحمة شديدين وذلك لوجود هذا السوق بالمسعى .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٥-٧٧

( ٢ ) ابن جبير ، ص ٨٥ ؛ العبدري ، ص ١٧٦ ؛ ابن بطوطة ، ص ١٤٠ ، البلوى ، ص ٣٠٧ .

( ٣ ) العياشى ، الرحلة ، ج ١ ، ص ١٩٤

وأشار الرحالة ابن جبیر ، وغيره ، الى وجود سوق عظيمة في مدينة منى ، وهذه السوق كان يباع فيها من الجواهر النفيسة بأنواعها الى أدنى أنواع الخرز ، كما كان يباع فيها المتاجر المختلفة .<sup>(١)</sup>

وذكر العياشى وغيره أن منى مجمع الافاق من الحجيج ، يزدحمهم الجميع فيها رجاء بركة ذلك المكان ، وكانوا يقولون : ان من اشترى من منى شيئا وجعلها في تجارته وجد بركته ، وظهرت له ثمرته .<sup>(٢)</sup>

وكذلك من الاسواق التي أشار اليها الرحالة سوق عرفات ، فأشار العبدري عن وجود سوق كبيرة فيها ، كان يكثرفيها الأطعمة التي كان يجلبها جماعة السرو اليمنية<sup>(٣)</sup> ، وكانوا يجلبون السلع اليها على ظهورهم ، كما أن أكثرهم كان يقصد السوق بعرفة ومنى ثم يتوجهون منها الى بلادهم .<sup>(٤)</sup>

ويستنتج من كلام الرحالة المسلمين أن العملة التي كان يتعامل بها أهالي مكة المكرمة هي الدينار الذهب والدرهم الفضة ، فالرحالة ابن جبیر ذكر بأن السلطان صلاح الدين ألغى المكس الذي كان مفروضا على الحجاج والذي بلغت قيمته سبعة دنانير مصرية ونصف على كل انسان .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ابن جبیر ، ص ١٦٠ ، العبدري ، ص ١٨٥

( ٢ ) العياشى ، الرحلة ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، الورثيلاني ، الرحلة ، ص ٤٠ .

( ٣ ) انظر مايلي عن جماعة السرو ، ص ١٠٨

( ٤ ) العبدري ، ص ١٨٥

( ٥ ) ابن جبیر ، ص ٣٠ ، ١٠٠ ، انظر التيجيبي السبتي ، ص ٢١٩ ، عن الدينار

والدرهم ، انظر الاب انستاس ماري الكرملی ، النقود العربية ، ص ١١ ،

عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ، ص ٩-١٠

وأشار الرحالة ابن بطوطة أيضا بأن عمله أهل مكة المكرمة عند ما زارها في عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م ، كانت الدراهم النقود ، وذكر بأن سعر الذهب رخص ، وبلغ سعر المثلقال أى الدينار ثمانية عشرة درهم نقرة <sup>(١)</sup> . كما ذكر القلقشندي ( ت ٨٢١هـ ) بأن معاملات مكة المكرمة في النقد كانت بالدراهم وهي كالدراهم المستعملة في الديار المصرية والشامية .

وكان التعامل التجاري لأهل مكة المكرمة مع جماعة السرو اليمنية ، يقوم أساسا على التبادل التجاري أى لم يكن التعامل بالدراهم ولا بالدينار بل كانوا يتبادلون بالتجارة التي يجلبونها معهم نظير ما يعده أهل مكة المكرمة لهم ، من الأقنعة ، والملاحف ، والعباءات ، والشمل ويباعونهم ويشارونهم بهذه الطريقة <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) الدراهم النقرة : هي الدراهم التي سكنت في عهد السلطان الملك الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢هـ عندما أبطل التعامل بالدراهم الناصرية التي كانت معروفة " بالزيوف " أى الدراهم الزائفة والتي وصلت نسبة النحاس فيها الى النصف .

ثم سك دراهم جديدة أخرى جعلها ثلاثة أثلاث ، ثلثان من فضة وثلث فقط من النحاس ، انظر ، النقود العربية ، ص ١١ ، عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص ٧٣ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ١١٠

هكذا لعبت التجارة دورا عظيما وهاما فى تاريخ مكة الاقتصادى ، ولم يكن للزراعة نصيب كبير فى النشاط الاقتصادى لمكة ، وذلك لأن مكة المكرمة معظم أراضيها مجدية <sup>(١)</sup> . وما يوجد بها من مزارع كان يعتمد أساسا على ماء المطر ، حيث أنه لم يتوفر فيها الماء الكاف ، بل كانت مكة تعاني الكثير بسبب قلة الماء .

وأشار الرحالة ابن جبير بأن أهل مكة المكرمة اذا يسر الله لهم بالأماطر أثمرت أراضيهم وأينعت ، وأصبح سكانها فى حالة اقتصادية جيدة ، أما اذا لم يسر الله لهم بالرحمة من عنده ، فانهم يلاقون الشدة والقحط والجذب ، " وقد نال الجهد من أهل الحجاز وأخذ بهم القحط وأهلك مواشيهم الجذب ، لم يمتطروا فى الربيع ولا الخريف ولا فى الشتاء الا مطرا طلا غير كاف ، ولا شاف ، والله عز وجل لطيف بعباده " . <sup>(٢)</sup>

وكذلك أشار الرحالة ابن جبير الى أن الله سبحانه وتعالى أنعم على هذا البلد المبارك ، فجلب له جماعة من المغاربة الذين لهم خبرة بالفلاحة والزراعة ، فحسنوا حالتها ، وأنشأوا بها المزارع والبساتين وأصبحوا سببا من أسباب اخصاب الأرض ، وأشار الرحالة بأن ذلك من فضل الله وغايتة بحرمة الآمن وسكانه <sup>(٣)</sup> ، وما كان يتوفر فى مكة المكرمة من خيرات زراعية ،

(١) انظر ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٧ ، ابوالفدا : تقويم البلدان ، ص ٨١

(٢) ابن جبير ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٩

أبدت دهشة الرحالة ابن جبیر لأنه كان يظن أن بلاده الاندلس هي  
الفريدة بالنعم وبالخيرات الوفيرة ، فذكر ابن جبیر قائلا : " وأما الأرزاق  
والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن أن الاندلس اختصت من ذلك بحظ له  
المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة ، فألفيناها  
تغنى بالنعم والفواكه ، الى غير ذلك من الرياحين العبقة والمشموما العطرة<sup>(١)</sup>

وامتازت مكة المكرمة بتوفر العديد من الفاكهة والخضروات ومن أنسواع  
هذه الفاكهة : التين ، والعنب ، والرمان ، والسفرجل ، والخوخ والبطيخ  
الذي لا يكاد ينقطع طوال العام ، والبلح اللذيذ الطعم<sup>(٢)</sup> . ويعجب  
الرحالة ابن جبیر من أنواع هذه الفاكهة ، ولذة طعمها ، ورائحتها  
العبقة ، وخاصة رائحة البطيخ والسفرجل ، بالاضافة الى نوع الرطب اللذيذ  
الطعم فعبّر قائلا : " ومن أغرب ما ألفينا واستمتعنا بأكله ، وأجربنا  
الحديث لاستطابته ، ولا سيما لكوننا لم نعهده " الرطب " وهو عندهم  
بمنزلة التين الأخضر في شجره يجنى ويؤكل ، وهو في نهاية من الطيب واللذة  
كما لا يسأم التفكه به " .<sup>(٣)</sup>

وأشار ابن جبیر بأن أهل مكة المكرمة يجنوا هذا الرطب اللذيذ ،  
ويخرج الناس اليه كما يخرج أهل المغرب لقراهم أيام نضج العنب والتين

(١) ابن جبیر ، ص ٩٦-٩٧

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحات

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٩

ثم ييسطونه على الارض ليجف قليلا ، وبعد ذلك يقوموا برصه فوق بعضه البعض فى السلال المعدة لذلك . (١)

كما نعمت مكة المكرمة بأنواع عديدة من الخضرا كالخيار ، والقثاء ، والباز<sup>نجان</sup> والفلفل ، بالإضافة الى الحبوب المتوفرة كذلك ، وأنواع اللحوم اللذيذة الطعم ، وأنواع الألبان (٢).

ومن الموارد المالية التى اعتمدت عليها مكة المكرمة فى اقتصادها ، وأشار اليها الرحالة المسلمون نفقات الحجاج فى موسم الحج ، فكان الحجاج والعمار ينفقون أموالا كثيرة فى مكة المكرمة فى فترة تأديتهم لمناسك الحج والعمرة ، وكذلك فى شراء حاجياتهم من مأكلا وملبس ومسكن وما إلى غير ذلك .. ولم يكن سكان مكة المكرمة وحدهم هم المستفيدون من نفقات هؤلاء الحجاج والزوار ، والتجار ، ولكن كان أمراء مكة أنفسهم يستفيدون من هذه النفقات الواردة ، فقد تعود أمراء مكة فى كثير من الأحيان تحصيل الاموال من الحجاج والحصول عليها بشتى الطرق والحيل ، اما على شكل مكوس ، وذلك للسماح لهم بالدخول الى مكة للزيارة أو للعمرة ، واما باستيلائهم على جزء مما معهم من التجارة ، وكما حدث فى عهد الرحالة ابن جبير اثناء زيارته لمكة المكرمة فى عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م عندما كان الأمير مكشراً أميراً لمكة المكرمة فجمع الاموال من الحجاج . (٣)

(١) ابن جبير ، ص ٩٩-١٠٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٧ ، البلوى ، ص ١٠٨ ، ص ٣٠٨

(٣) انظر ابن جبير ، ص ٣٠ ، ٥٤ . أو انظر ما يلى ، ص ١١٠-١١١



ويؤيد ذلك قول الرحالة ابن جبير " وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى ، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها ينتهبونها انتهابا ، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا ، فالحجاج معهم لا يزال في غرامة ومؤنة الى أن ييسر الله رجوعه " . (١)

وأشار الرحالة ابن بطوطة أيضا الى كثرة ما ينفقه حجاج العراق وخراسان في مكة المكرمة ، وقد شاهد هم ابن بطوطة بنفسه ، وهم يطوفون ليلا بحرم الله ، ويقومون بتوزيع صدقاتهم من ثياب ومن ذهب وفضة على من يجدونه بالحرم الشريف ، وذكر بأنه شاهد هم وهم يضعون الذهب أو الفضة في قم النائم حتى يفيق من نومه . (٢)

وأشار ابن بطوطة أيضا بأنه قدم للحج مع أهل العراق في عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٧ م ، فأكثر هؤلاء العراقيين من الصدقة على أهل مكة المكرمة وعلى المجاورين لبیت الله الحرام ، وكانت توزع صدقاتهم من الفضة والذهب حتى رخص سعر الذهب في تلك السنة لكثرة ما تصدقوا به على أهل مكة . (٣)

---

( ١ ) ابن جبير ، ص ٥٤

( ٢ ) ابن بطوطة ، ص ١٧١

( ٣ ) المصدر السابق ، ص ١٧١-١٧٢

وبالإضافة الى نفقات الحجاج على أهالى مكة المكرمة التى كانت تعتبر موردا هاما من موارد الرزق ، هناك أيضا بعض القبائل التى كانت ترد الى مكة المكرمة محملة بالارزاق والخيرات ، فتنتعش حياة سكانها وتحسن أحوالهم ، ومن هذه القبائل التى كانت تغد الى مكة المكرمة جماعة السـرو اليمنية ، وهؤلاء كانوا يسكنون جبالاً حصينة باليمن تعرف بجبال السراة، وهم قبائل من بجيلة وزهران وغامد وغيرها من القبائل . ووصفهم الرحالة العبدري بأنهم عرب فصحاء اللسان ، نحاف الابدان ، بدو ، ولهم ألفاظ وحشية ، وتتوفر لديهم النية الصادقة بالرغم من أنهم لم يتفقهوا دينيا <sup>(١)</sup> . كما وصفهم الرحالة ابن جبير وابن بطوطة بأنهم أصحاب قوة وبأس ومتى جاءوا للزيارة هابتهم أعراب الطريق ، كما يصحبهم الحجاج الزائرون ويحمدون صحبتهم <sup>(٢)</sup> . وكانت جماعة السرو اليمنية هذه تجلب معها المتاجر العديدة وتستعد للحضور الى مكة المكرمة قبل حلول موسم الحج ومواسم العمرة بعشرة أيام على الأقل ، وكانوا يجمعون بين النية فى العمرة وبين جلب الميرة لمكة المكرمة ، التى كانت تحتوى على أنواع من الحبوب ، والزبيب واللوز ، والسمن ، والعسل ، ويصلون الى مكة فى اعداد كبيرة رجالا وجملاً <sup>(٣)</sup> .

ونذكر كل من الرحالة ابن بطوطة وابن جبير الى أن هذه القبائل كانت

( ١ ) العبدري ، ص ١٨٥

( ٢ ) ابن جبير ، ص ١١٠ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٥

( ٣ ) ابن جبير ، ص ١١٠ ، محمود الشرقاوى : رحلة مع ابن بطوطة ، ص ١٠١

تحمل معها الى مكة المكرمة الانواع المختلفة من خيرات بلادهم الوفيرة فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة ، فيرغدون بها سكان مكة المكرمة ، حتى المجاورين لحرمه الآمن ويتقوتون ويدخرون ، فترخي الاسعار ، وتعم المرافق ، فيعد فيها الناس ما يكفيهم لعامهم الى ميرة أخرى ويعقب الرحالة على ذلك بالقول بأنه لولا هذه الميرة لكان أهل مكة المكرمة فى شظف من العيش .<sup>(١)</sup> وكان أهالى مكة المكرمة يستبشرون خيرا بمجىء هؤلاء الجماعة حتى أنهم يقيمونهم عوضا عن نزول المطر وذلك لكثرة ما يجلبون معهم من خيرات ، تعم بها وترغد أهل بيته الكرام .

وأشار الرحالة المسلمون الى أن هؤلاء القوم اعتقدوا فى قرارة أنفسهم بأن الخيرات الوفيرة التى تعم بها أراضيهم الواسعة ، وكذلك خصب بلادهم ، ما هو إلا لما يجلبونه من هذه الخيرات إلى مكة المكرمة ، فتحل لبلادهم البركة كما أنهم كانوا يعتقدون بأنهم إذا لم يتوجهوا للكعبة المشرفة سوف تجذب بلادهم ، وسوف يحل بهم بلاء من ربهم عظيم ، وكذلك كان نساؤهم يشجعنهم اذا ماتوا فى ذلك .<sup>(٢)</sup>

ومن الموارد المالية الواردة الى مكة المكرمة ، المكوس التى كانت

( ١ ) ابن جبير ، ص ١١٠ ؛ انظر ابن بطوطة ١٦٤

( ٢ ) ابن جبير ، ص ١٤٠ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٤ ؛ انظر محمود الشرقاوى

رحلة مع ابن بطوطة ، ص ١٠١

تجبي من حجاج بيت الله الحرام . وتحدث الرحالة ابن جبير عن المعاناة<sup>١</sup> والمتاعب التي لاقاها الحجاج عند جنباية هذا المكس فقال " واتفق لنسا من ذلك أن وصلنا جدة فأمسكنا بها خلال ما خوطب الأمير مكثراً أمير مكة المكرمة ، فورد أمره أن يضمن الحجاج بعضهم بعضاً ، ويدخلوا الى حرم الله ، فان ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين ، والا فهو لا يترك ماله قبل النجاح ، وكان حرم الله ميراث بيده ومحلل له اكترأؤه<sup>(١)</sup> وذكر الرحالة ابن جبير الى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي نظّر الى هذه المظلمة ، ورفع هذه المكوس ، ودفع عوضاً عنها لأمر مكة مكثراً بن عيسى ، وكانت قيمة المكس سبعة دنانير مصرية على كل شخصي .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير الى أن سبب الغاء السلطان صلاح الدين لهذا المكس أنه في أثناء ولاية الأمير مكثربن عيسى ، حج الشيخ علوان الأسدي الحلبي . ولما وصل الى ميناء جدة ، طالبوه بالمكس المعلوم ، فرفض الشيخ علوان أداء هذا المكس وطلب السماح له بالعودة ، الا أن أهالي جدة لاطفوه وأحسنوا معاملته ، وأرسلوا لأمر مكة المكرمة يخبروه بالأمر ، فجاء<sup>٢</sup> الأمر بالسماح له بالدخول دون دفع المكس المفروض . ولما وصل الشيخ علوان الى مكة المكرمة اجتمع بأمرها ، واعتذر له الأمير ، وأخبره بأن

( ١ ) ابن جبير ، ص ٥٤

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، انظر ابن فهد ، اتحاف الوري ، ورقة

٢٤٠ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ابن تفرى بردى ، النجوم

الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧٨-٧٩ ، ابراهيم رفعت ، امرأة الحرمين ج ٢ ، ص ٧٠

سبب فرض هذه المكوس هو حاجة البلاد الى هذا الدخل ، حيث أن ،  
مواردها لا تكفيها<sup>(١)</sup> . ثم وصل الخبر للسلطان صلاح من قبل الشيخ علوان  
فأمر بتعويض أهل مكة المكرمة ، وأميرها ، ورفع هذه المظلمة عن حجاج وعمار  
بيت الله الحرام ، وكانت قيمة هذا التعويض ألفي دينار وألف اردب من  
القمح سنويا ، بالإضافة الى اقطاعات أقطعها للأمير بصعيد مصر واليمن<sup>(٢)</sup> ،  
الا أن اشتغال السلطان صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد الصليبيين  
شجع أمير مكة المكرمة في التمادى في نهب الحجاج حتى أن ابن جبير تمنى  
أن تظهر هذه الأراضى المقدسة على يد صلاح الدين<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن بعض المكوس التى ألغها السلطان صلاح الدين أعيد  
فرضها في عهد خلفائه ، ففرض الملك العادل الثانى سيف الدين أبو بكر بن  
الملك الكامل فى سنة ٦٣٥ هـ / ٢٣٧ م مكوسا عندما تولى السلطنة ، وأهمل  
خلفاء صلاح الدين ما التزم به مؤسس الاسرة الايوبية من تعويضات نحو بيت  
الله الحرام ، فسا كان من شريف مكة الا أن عاد فرض المكوس<sup>(٤)</sup> . وذكر أنه

- 
- ( ١ ) ابن جبير ص ٣٠ ، ٥٤ ، : انظر ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤١ ،  
سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢١٤ ؛ أبو شامة ، الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٤٠٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٣  
ابن تغرى بردى ، الانجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧٨ ؛ ابن زينى دحلان ، خلاصة  
الكلام ، ص ٢١ .  
( ٢ ) ابن جبير ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، انظر ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ١٦ ، الفاسى  
شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ؛ زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ص ٧٩  
( ٣ ) ابن جبير ، ص ٤٨ - ٤٩ ، انظر زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ص ٧٩  
( ٤ ) على بن الحسين ، العلاقات الحجازية ، انظر عائشة باقاسى ، لالحجاز فى  
العصر الايوبي ص ٩٩ .

حدث في عهد خلفاء صلاح الدين أن ألغيت المكوس ثانية في سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١ من قبل صاحب اليمن المنصور عمر بن رسول ، ثم كتب ذلك في مريضة " رقعة " وعلقها قبالة الحجر الاسود عند زمزم الى أن انتزعها محمد بن أحمد بن — المسيب اليمنى ، وكان ذلك سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م .<sup>(١)</sup>

وهكذا كان السلاطين يتدخلون في أمر أمير مكة المكرمة ويقومون برفع المكوس نظير تعويض معلوم يدفع لهم ، وعند ما يتأخر وصول هذا المعلوم ، يعود أمراء مكة المكرمة لفرض المكوس ثانية ويوقعون في جمعها زوار بيت الله الحرام ، وكانت أكثر هذه المكوس تؤخذ منهم ومن التجار .<sup>(٢)</sup>

ومن الموارد التي كانت ترد الى مكة المكرمة أيضا صدقات السلاطين والخيرين من الناس ، وأشار ابن جبير الى أحدهم وهو جمال الدين محمد بن علي بن منصور وهو الملقب بمحمد الجواد ، وزير صاحب الموصل .<sup>(٣)</sup> وكانت

---

( ١ ) ابن فهد ، اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٥-٢٥٧ ، المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٣٣٢-٣٣٣ ، الذهب المسبوك ، ص ٨٠ ، يحيى بن الحسين ، غاية الالمانى ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

( ٢ ) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٧٦

( ٣ ) هو الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني المعروف بالجواد صنع عدة مآثر بمكة المكرمة ، وكان كثير البر والصدقات ، وكان له في كل يوم مائة دينار يتصدق بها على باب بني شيبه . انظر ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٨٧-٨٩ ، الفاسي ، العقد ، ص ٢١٢-٢١٧ ،

لهذا الرجل أعمال عظيمة وآثار محمودة ، أنفق الكثير من الأموال على الحرمين الشريفين . قضى خمسة عشر عاما فى بناء رباح مسجلة بمكة واختلط صهاريج للماء ، وحفر الآبار ، وجلب الماء الى عرفات ، كما جدد باب الكعبة المكرمة وله الكثير من الآثار والمفخر ما لم يسبقه أحد .<sup>(١)</sup>

وكان لمتحصلات الأوقاف التى أوقفها السلاطين أثر كبير فى تحسين حالة مكة الاقتصادية . وأشار الرحالة ابن جبير عن أوقاف السلطان صلاح الدين الايوبى التى اشتملت على اقطاعات بصعيد مصر واليمن .<sup>(٢)</sup>

أما عن الحرف والصناعات القائمة فى مكة المكرمة فالمعلومات التى ذكرها الرحالة المسلمون ضئيلة جدا ، فأشار الرحالة ابن جبير الى أنه كانت بمكة المكرمة حرفة الخياطة ، وكان يقوم بها عمال مختصون لخياطة ما مزقته الرياح من كسوة الكعبة المشرفة ، وهم من بنى شيبة ، ويقوم رئيسهم بفتح باب الكعبة والصعود الى سطحها بصحبة جماعة من ذويهم ثم يقومون بخياطة الكسوة ، بالاضافة الى أن لهؤلاء مكان خاص بالحرم يجلسون فيه مع جماعة المقرئين والنساخين ، فكانهم يكون " على مصاطب تحت قس حنايا يجلس فيها النساخون والمقرئون وبعض اهل صناعة الخياطة " .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير

فى رحلته ، ص ١٨٢ .

( ٢ ) ابن جبير ، ص ١٠٢-١٠٣ .

( ٣ ) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

وأشار ابن جبیر الى وجود بعض الحرف اليدوية والصناعات البسيطة وذكر بأن أهلى مكة المكرمة كانوا يصنعون الحلوى ، وكانت تتم صناعتهم بالمستل أو بالسكر المعقود ، وكانوا يشكلونها على هيئة فواكه وعلى هيئة تصاوير انسانية . وأشار ابن جبیر الى أن أهالى مكة المكرمة كانوا يصنعون السمن من اللبن المتوفر وجودها بمكة .<sup>(١)</sup>

وبعد ، فهذه لمحة عن الحالة الاقتصادية التى كانت عليها مكة المكرمة ، من واقع وصف الرحالة وكتاباتهم ، كشفت لنا الخيرات الوفيرة التى كان ينعم بها سكان أم القرى ، والموارد المالية وغيرها التى كانت تبرر اليهم عن طريق السلاطين وأهل الخير ، وما هذا الا استجابة لدعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

---



# الفصل الرابع

## الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة كما وردت في كتب الرحالة المساميين

- ★ فضائل وأخلاق وعادات أهل مكة المكرمة
- ★ طبقات المجتمع المكي
- ★ الأطلعمة والأشربة
- ★ الأعياد والمواسم والاحتفالات الدينية
- ★ الخدمات الاجتماعية في الأربطة

يتناول هذا الفصل من البحث الحديث عن الحياة الاجتماعية لأهل مكة المكرمة كما وردت في كتب الرحالة المسلمين . فلكل مجتمع من المجتمعات عادات وتقاليد متوارثة تميزه على غيره من المجتمعات الأخرى ، فالمجتمع الإسلامي بمكة المكرمة له عادات اجتماعية حسنة قلما توجد في غيره من المجتمعات الإسلامية . وربما كان السبب في ذلك هو تشريف مكة المكرمة بوجود بيت الله الحرام فيها ، مما جعل لها هذه الميزة الفريدة ، فتأثر أهلها بالأرض الطيبة ، التي هي منبع الإسلام ، ومهبط الوحي ، وعليها ولد أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . واكتسب مجتمع أهل مكة المكرمة الخصال الجليلة ، والصفات الحميدة ، كما اتصف نساؤها كذلك بالعفاف والتقوى ، ولقد شهد لهن الرحالة ابن بطوطة بذلك .<sup>(١)</sup>

وسما أشار اليه الرحالة ابن بطوطة أيضا من الفضائل التي تحلى بها مجتمع أهل مكة المكرمة حسن مجاورتهم للغرباء ، وعطفهم على الفقراء والمساكين والضعفاء المنقطعين . وفسر ابن بطوطة ذلك قائلا : " ولأهل مكة الأفعال الجميلة ، والمكارم والأخلاق الحسنة ، والاثار إلى الضعفاء والمنقطعين ، وحسن مجاورتهم للغرباء " .<sup>(٢)</sup>

---

(١) ابن بطوطة ، ص ١٤٩ ، انظر زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون

ص ١٤٥ .

(٢) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

وفسر ابن بطوطة أيضا كرم أهل مكة المكرمة ، وعطفهم على الفقراء ، واحساسهم وشعورهم بما يحسون به من الحرمان ، فهم يدعونهم بتلطّف لحضور الولائم التي يقيمونها ، " ومن مكّاهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة ، يبدأ فيها باطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين ، ويستدعيهم بتلطّف ورفق وحسن خلق ، ثم يطعمهم " .<sup>(١)</sup>

وأشار أيضا ابن بطوطة بأن أكثر هؤلاء المساكين كانوا يقيمون بالقرب من الأفران ، حيث يقوم الناس بصنع الخبز في تلك الأفران ، ثم يحملونه بعد ذلك الى منازلهم ، فيتبعمهم هؤلاء المساكين ليأخذ كل منهم نصيبه ، " فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ، ولا يردّهم خائبين ، ولو كانت له خبزة واحدة ، فانه يعطى ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر " .<sup>(٢)</sup>

أما الرحالة العبدري فانفرد عن غيره من الرحالة المسلمين عند ما ذكر بأن معاملة أهل مكة المكرمة فيها بعض الجفاء ، كذلك كانت معاملتهم للحجاج سيئة ، فقد كانوا يؤذونهم ويشحون عليهم وعلى المجاورين لحرم بيت الله الحرام ، فذكر العبدري : " وفي أصحابها بعض جفاء ، وقسوة ارتباط للشرع ، وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين " .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، انظر محمود شرقاوى ، رحلة مع ابن بطوطة

ص ٩٩-١٠٠ .

( ٣ ) العبدري ، ص ١٧٢

الا أنه لا يمكن أخذ ما ذكره العبدري حقيقة مسلمة ، وذلك لما عرف عن العبدري من قسوة وعنف في وصفه لسكان معظم المدن التي زارها وخاصة وصفه لسكان ميناء الاسكندرية وغيره .

ومن صفات وفضائل مكة المكرمة كما أشار الرحالة ابن بطوطة حسن معاملتهم لصبيانهم الأيتام والعطف عليهم ، ومحاولة مساعدتهم على معيشتهم فهؤلاء الصبيان يجلسون في الأسواق ، يحمل كل واحد منهم قفتين ، وعند ما يأتي المشتري لقضاء متطلباته من السوق ، يقابله هؤلاء الصبيان فيعطى ما اشتراه لأحدهم ، فيقوم بحمل ما اشتراه من الأغراض والحاجيات ويوصلها الى منزل ذلك الشاري ، ثم يذهب هو لا تمام ما عليه من أعمال أخرى ، أو طواف أو ما الى تفسير ذلك . وكان هؤلاء الصبيان في غاية من الأمانة والاخلاص حتى أنه لا يذكر أن أحدا من هؤلاء خان هذه الأمانة وأنقص من هذه الحاجيات ، بل كان يقوم بتوصيل ما حمل اليه تاما ، وكان يتم ذلك نظير مبلغ متفق عليه فيما بينهما .<sup>(١)</sup>

ولأهل مكة المكرمة مظهر أنيق وجميل ، كما أن لهم ظرف ونظافة وأناقة في الملبس ، ويشير الرحالة ابن بطوطة بأن ملابسهم دائما نظيفة ، ناصعة البياض ، أنيقة ، بالاضافة الى أنهم كانوا يكثرون من استعمال الطيب والسواك

---

(١) ابن بطوطة ، ص ١٤٨-١٤٩ .

وهو عندهم من الضروريات ، بالإضافة الى أنهم كانوا يكتحلون . (١)

ووصف لنا الرحالة نساء أهل مكة المكرمة ، وذكر بأنهم ذات صلاح وعفاف وتقوى ، كما أنهن بارعات فائقات الجمال ، يتطين كثيرا " حتى أن احداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا " . وهن يقصدن البيت العتيق ويطفن به فى كل ليلة جمعة ، بالإضافة الى لبسهن أحسن الثياب ، كما أنهن يحببن التزين والتأنق والتطيب ، حتى أنهن بعد خروجهن من الحرم الشريف تبقى راثحتهن " وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا " . (٢)

ولأهل مكة المكرمة عادات خاصة عند نزول ماء المطر ، ويشير الرحالة ابن جبير بأنه عندما كان بالحرم الشريف ، هطلت أمطار غزيرة ، فتبادر الناس الى حجر اسماعيل ، ووقفوا تحت الميزاب ، متجردين عن ثيابهم ، يتلقفون ماء المطر الذى ينزل عليهم من الميزاب برؤوسهم وبأيديهم ، كما يتلقفونه بأفواههم ، وكانوا يزدحمون عليه ازدحاما شديدا ، وحرص كل واحد منهم على أن يسقط على جسمه من هذا الماء الذى يعتقدون أنه ماء طاهر مبارك ، لذلك ازدحموا تحته ، وقد ارتفعت أصواتهم بالدعاء والبكاء ، طالبين الرحمة والمغفرة ، وأشار الرحالة ابن جبير بأن بعض الحجاج أشفقوا

( ١ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٩

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ١٤٩ ، انظر ، زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٤٥ ، محمود شرقاوى ، مع ابن بطوطة فى رحلته ، ص

طلى النساء الواقفات خارج الحجر ، فخرجوا اليهن وفي أيديهم ثياب مبللة من هذا المبارك فتناولنه البعض من النساء ، وتلقفنه شربا ومسحا على وجوههن وعلى أبدانهن ، واستمر هذا الحال طوال نزول المطر .<sup>(١)</sup>

واستمرت هذه العادة عند أهل مكة المكرمة عند سقوط المطر سنين طويلة ، إذ أشار الرحالة التجيبي السبتي الذي زار مكة المكرمة سنة ١٢٩٦هـ / ١٢٩٦م بأن أهل مكة المكرمة وكذلك الحجاج المجاورين قدموا الى الحجر المبارك عند نزول المطر وازدحموا تحت الميزاب يتلقفون ماءه ، كما أشار بأن أصواتهم ارتفعت بالدعاء والضجيج .<sup>(٢)</sup> وأشار التجيبي السبتي أيضا بأن جماعة الزیالمة ، وهم من أهل زيلع ، نحاف الأبدان وقفوا بعيدين عن الحجر ، حيث أنسهم لا يستطيعون الزحام ، لضعف أجسامهم ونادى البعض منهم : " يا بيت الله حقنا " وهم يقصدون حقهم ونصيبتهم من هذا الماء ، وذكر التجيبي السبتي بأن الريح أوصلت لهم من ذلك الماء وأنه تعجب كثيرا لذلك .<sup>(٣)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبیر بأن من عادات أهل مكة المكرمة إذا أصابهم القحط والجفاف ، ولم ينزل عليهم المطر ، أن يجتمع قاضي مكة المكرمة

(١) ابن جبیر ، ص ٩٥

(٢) التجيبي السبتي ، ص ٢٨١

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٢

بالناس ويطلبهم للصلاة الاستسقاء ، يطلبون فيها الرحمة من الله سبحانه وتعالى . وعادتهم في ذلك أن يحضر بنوشية الى المسجد الحرام ميكرين ، ويحضر القاضي مرتديا ثيابه البيضاء ، ويقوم رئيس السدنة من بنى شيبة بفتح باب الكعبة المشرفة ، ويخرج مقام ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام ويضعه على عتبة الباب ، ويخرج أيضا مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من خزائنه ، ثم يضعه بجانب مقام ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام .<sup>(١)</sup> ثم ينادى قاضى مكة المكرمة فى الناس بأن الصلاة جامعة ، ثم يصلى بهم خلف مقام ابراهيم عليه السلام والمتخذ مصلّى للناس . ويقرأ فى الركعة الأولى سورة الأعلى " ويقرأ فى الركعة الثانية سورة الفاشية ، ثم يصعد بعدها القاضي الى المنبر ، ويخطب فى الناس خطبة بليغة يكثر فيها من الاستغفار ، كما يعظهم ويحضهم على التوبة والالتابة لله عز وجل ، ثم يحول القاضي رداءه ، ويحول الناس أرديتهم اتباعا للسنة ، ثم ينفـسـى الجمع من المصلين راجين الرحمة من الله ، لم ييأسوا من كرم الله ورحمته ، وتستمر الصلاة لمدة ثلاثة أيام متوالية على نفس الصفة المذكورة .<sup>(٢)</sup>

وكانت هناك بعض المعتقدات الباطلة التى سيطرت على عقول البعض من أهالى مكة المكرمة ، وأشار اليها الرحالة ابن جبير وغيره على سبيل الغرائب والطرائف . فقد اعتقد البعض من سكان مكة المكرمة أن من

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٣٩

( ٢ ) التجيبي السبتي ، ص ١٣٩

لم يستطع الدخول لغار ثور من فتحته الضيقة فانه يكون في معتقد هم وليس له  
 "زنى" لذلك كان يتجنب دخوله الكثير من العقلاء .<sup>(١)</sup>

وفسر بعض الرحالة بأن السبب الحقيقي في عدم تمكن البعض من دخول  
 الغار من الباب الضيق ، يرجع الى وجود حجر كبير داخل الغار ما يلقى  
 الباب مباشرة ، كما أنه يعترضه ، فمن دخل الغار من ذلك الشق منبطحاً  
 على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر ، فلا يمكنه الدخول ، كذلك لا يمكنه  
 أن يرتفع الى أعلى ، لأن وجهه وصدره يكونان تجاه الأرض ، فلا يستطيع  
 الخروج ، الا بعد أن يجذب للخارج ، ولكن من يدخل لهذا الغار مستلقياً  
 على ظهره مستنداً الى الحجر المعترض فانه يستطيع أن يرفع رأسه ويجلس .  
 وبذلك يكون ظهره على الحجر المعترض ، ويكون وسطه في الشق ، وتكون رجلاه  
 خارج الغار ، ثم يقوم قائماً داخل الغار .<sup>(٢)</sup>

أما اذا نظرنا الى أهم الطبقات الاجتماعية التي كان يتكون منها مجتمع  
 أهل مكة المكرمة من واقع كتب الرحالة المسلمين ، ظهر لنا أن هناك عدة  
 طبقات منها طبقة الأمراء ، وطبقة سكان مكة الأصليين ، وطبقة المجاورين  
 من العلماء والفقهاء .

(١) ابن جبير ، ص ١٣٩ ، العبدري ، ص ١٨٦ ، ابن بطوطة ، ص ١٤٥-١٤٦

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحات



أما طبقة الأمراء فكانت هي الطبقة العليا في مجتمع مكة المكرمة وقد ذكر الرحالة المسلمون أسماء الأمراء المعاصرين لهم ، فأشار الرحالة ابن جبير أنه عندما زار مكة المكرمة في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، كان أميرها مكشهر بن عيسى بن فليته ( ٥٧١هـ - ٥٩٧هـ ) <sup>(١)</sup> وكذلك أشار الرحالة التجيبي السبتي عند زيارته لمكة المكرمة بأن أميرها كان نجم الدين أبا نسي الحسني ، كذلك ذكر ابن بطوطة بأنه عند زيارته للأماكن المقدسة كل أميري مكة المكرمة أسد الدين رميثة ، وسيف الدين عطيفة ابني الأمير أبي نسي بن أبي سعيد بن قتاده الحسنيين . <sup>(٢)</sup>

أما طبقة سكان مكة الأصليين فكانوا من بطون قريش التي بقيت بمكة المكرمة بعد الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ، والعراق في العصر الإسلامي الأول ، ثم انضم اليهم بعض القبائل البدوية والعشائر المجاورة ، واندمجوا ببعضهم البعض ، وبمرور الوقت انضم لهم بعض العائلات العريقة التي ظهرت في مكة ، وبرزت بعلمها ، وكان لاندماجهم مع بعضهم البعض أكبر الأثر في تحسين حياة مكة الاجتماعية وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المكي ، ومن هذه العائلات التي اندمجت في المجتمع المكي آل ظهيرة القرشيين ، وآل النويري ، وآل الطبري . <sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٠٠ ، انظر ما سبق ، الفصل الثاني ، ص ٦٧

( ٢ ) انظر ما سبق ، الفصل الثاني ، ص ٨٥

( ٣ ) علي بن الحسين ، العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨

وأشار الرحالة التجيبي السبتي الى أن أحد المقرء بمكة المكرمة كان من آل القرشي وهو أبو محمد عبد الله الدلامي ، مصرى الأصل ، وحج عدة مرات ثم استوطن مكة المكرمة ومات بها .<sup>(١)</sup> كما أشار الرحالة ابن بطوطة كذلك الى الفقيه محمد بن فهد القرشي<sup>(٢)</sup> ، ومن عائلة آل الطبرى العريقة أشار الرحالة ابن بطوطة الى القاضى محمد محي الدين الطبرى وولده شهاب الدين ، وأخيه زين الدين السطبرى .<sup>(٣)</sup>

كذلك تكونت فى المجتمع المكي طبقة المجاورين من الفقهاء والعلماء وطلاب العلم ، من جموع الحجاج والعمار الذين وفدوا الى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج ولزيارة تلك الأماكن المقدسة ، فالكثير من هؤلاء الحجاج كان يفضل المجاورة فى تلك الأماكن رغبة فى التقرب الى الله . وكان عدد الزوار يزداد يوما بعد يوم فيزداد تبعاً لذلك عدد المجاورين ، فكانوا طبقة من طبقات المجتمع المكي ، كما انضم لهذه الطبقة الفقهاء والعلماء وطلاب العلم الذين وفدوا لمكة المكرمة وجاوروا فيها ، وما شجعهم جميعاً على المجاورة الهدوء السياسى التى تمتعت به مكة المكرمة ، بالإضافة الى توفر الأريطة التى أقامها الحكام والسلاطين وأهل الخير فى أم القرى ، فكانت تقدم لهؤلاء ما يسد حاجتهم من مسكن ومطعم وكساء . وأشار الرحالة

( ١ ) انظر التجيبي السبتي ، ص ٤٠٦ ، ٤٣٣-٤٣٦

( ٢ ) انظر ما سبق بالفصل الثانى ، ص ٩٢

( ٣ ) انظر الفصل الثانى ، ص ٩٠

ابن بطوطة وغيره الى أسماء كثيرة من المجاورين بمكة المكرمة . (١)

وتكونت في مكة المكرمة طبقة من التجار الذين كانوا يفدون بتجارتههم الى بلد الله الآمن ، وذلك للتجارة ولاداء فريضة الحج أيضا . واستفساد هؤلاء التجار من موقع مكة المتوسط بين الشام واليمن ، حيث أنها تقع على طريق التجار ، فاتخذوها مركزا ومستقرا هاما لهم ، كما وفد اليها تجار من بلاد بعيدة ، وهؤلاء جميعا كانوا خيرا على المجتمع المكي سواء التجار منهم أو العلماء ، فالعلماء ينفعون بعلمهم الذي حرم الله كتمانهم ، والتجار يوجودون بأموالهم في سبيل الله في مكة المكرمة . (٢)

أما عن الأطعمة والأشربة التي كان يتناولها أهل مكة المكرمة فهي عديدة ومتنوعة ، وذكرها معظم الرحالة المسلمين في كتاباتهم . ويرجع السبب في وفرة خيرات مكة لدعاء ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، عندما ترك زوجته هاجر في تلك البقعة المقفرة ، وتألم سيدنا ابراهيم أشد الألم لذلك ، ثم دعا ربه قائلا : " فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " . (٣) فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء ابراهيم عليه السلام ، وجعل أفئدة كثيرة من الناس تهوى الى مكة المكرمة

( ١ ) انظر مايلي ص ١٦٦

( ٢ ) على السليمان ، العلاقات الحجازية ، ص ٢٢٩

( ٣ ) سورة ابراهيم ، آية ٣٧

من جميع الأصقاع والأقطار محطة بالأرزاق والخيرات .

ومن أنواع هذه الخيرات التي عمت بها مكة المكرمة الفاكهة اللذيذة الطعم بأنواعها العديدة نذكر منها : التين ، والعنب ، والرمان ، والسفرجل ، والاترج ، والبطيخ ، والبلح ، والجزر ، والرطب ، والزبيب الأحمر والأسود ، وقصب السكر .<sup>(١)</sup>

ويشتد اعجاب الرحالة ابن جبير بطعم الرطب ، ويذكر بأن طعمه لذيق ، ولا يسأم التفكه به ، كما يشتد اعجابه أيضا بالبطيخ المتوفر فسي مكة المكرمة وبطعمه ورائحته فيقول : " لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة وذلك لأن رائحته من أعطر الروائح وأطيبها ، وقد سبقت اليك ، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه عن أكلك إياه ، حتى إذا ذقته خيل اليك أنه شيب بسكر مذاق أو بجنى النحل اللباب " .<sup>(٢)</sup>

ومن أنواع الخضراوات التي نعمت بها مكة المكرمة وتوفرت فيها الكرنب ، والباذنجان ، واللحميا ، والقثاء ، وغيرها من سائر الخضروات التي تدخل فسي أنواع أطعمتهم ، وكل هذه الأنواع امتازت بطيبها وجودتها . وأشار ابن جبير بأن " لكل هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق يفضل بها نوعها الموجود في سائر البلاد فالعجب من ذلك يطول " .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٩٦-٩٨ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٤

(٢) ابن جبير ، ص ١٠٠ ، انظر كذلك ابن بطوطة ، ص ١٦٤

(٣) ابن جبير ، ص ١٠٠

ومن أنواع الحلوى التى كان يتناولها أهل مكة المكرمة ، ويصنعونها بأيديهم من العسل ومن السكر المعقود ، وأشار الرحالة ابن جبير بأن أهل مكة يصنعون هذه الحلوى على شكل صور انسانية وعلى هيئة أشكال كما ذكر بأن أهل مكة المكرمة يعرضون هذه الاشكال التى يصنعونها على منصات يضعونها بين الصفا والمروة وذلك فى شهور رجب وشعبان ورمضان ، كما يتعجب ابن جبير لهذه الحلوى فيقول : " أنه لم يشاهد أحد أكمل منظر منها لا بمصر ولا بسواها ، قد صورت منها تصاوير انسانية وفاكهية وجلبت فى منصاب كأنها المعرائس ، فتلوح كأنها الأزاهر حسنا فتقيد الأبصار وتستنزل الدرهم والدينار " .<sup>(١)</sup>

كما يشير الرحالة ابن جبير أيضا الى اللحوم المتوفرة فى مكة والستى اشتهرت بلذة طعمها وخاصة لحم الضأن ، وأشار بأنه أطيب لحم يؤكل فى الدنيا ، وهو الذى يعرف عند أهل مكة المكرمة باسم اللحم " الحرى " فهو من أجود أنواع اللحوم<sup>(٢)</sup> . ويشير الرحالة ابن جبير بأن السبب فى ذلك هو بركة مراعيها ، وأشار أيضا بأنه بالرغم من دسامة هذا اللحم الا أن الانسان

( ١ ) ابن جبير ، ص ٩٦ - ١٠٠

( ٢ ) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، والحرى نسبة الى أنه يورعى فى الحرة أى الارض ذات الحجارة السوداء المحترقة ، مما يجعل فى لحمه لذة لا توجد فى غيره . انظر عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير ، ص ١٨٢ .

يأكله بنفس طيبة ، ويقول ابن جبير : \* وعلى افراط سمنه ، ولو كان سواء من لحوم البلاد ينتهى ذلك المنتهى فى السمن للفظته الافواه زهما ولعافته وتجنبته ، لكن الامر هنا بالضد فكما ازداد اللحم سمننا ازداد اللحم سمننا ازدادت النفوس فيه رغبة ، وتجده يذوب فى الفم قبل أن يلاك مضغاً<sup>(١)</sup>

أما أشربة أهل مكة المكرمة فهو شراب الأبرار ، مأم زمزم المبارك ، وشبهه الرحالة ابن جبير أثناء خروجه من قرارته كخروج اللبن من الضرع دفيئاً لذيد الطعم ، كما أشار الرحالة ابن جبير بأن أهل مكة المكرمة يشربون الألبان وهى متوفرة فى مكة ، جيدة طيبة المذاق . وقام سكان مكة المكرمة بصناعة السمن من هذه الألبان ، وذكر ابن جبير بأن هذا السمن يمتاز كذلك بلذته وطيب نكهته \* لا تكاد تميزه من العسل طيباً ولذا ذة \*.<sup>(٢)</sup>

كما أن لأهل مكة المكرمة نظام خاص فى مأكليهم ، فالرحالة ابن بطوطة ذكر بأن أهل مكة لا يتناولون الطعام الا مرة واحدة فى اليوم وذلك بعد صلاة العصر ، وييقون عليها الى مثل ذلك الموعد من اليوم التالى . ويقول أنه من أراد منهم الاكل فى سائر النهار فانه يأكل التمر ، ولذلك صحت أجسامهم ، وقلت فيهم الأمراض والعاهات .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٩٣-١٠٠

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠١-١٠٢

(٣) ابن بطوطة ، ص ١٥١

واعتاد سكان مكة المكرمة اقامة الكثير من الاحتفالات في جميع المناسبات  
والمواسم الدينية ، فعند مستهل كل شهر من الاشهر الحرم تدق الطبول  
وتقام الاعلام والزينة في شوارع مكة المكرمة وأزقتها ، كما أن من عادتهم في  
الاحتفال بهلال الشهر الجديد ، أن يأتي أمير مكة المكرمة مرتديا ملا بسسه  
البيضاء ويتوجه الى الحرم الشريف ويحيط به كبار رجاله ، ويكون متقلدا سيفه  
وعليه السكينة والوقار ثم يصلي عند المقام الكريم ركعتين ، ويتجه بعدها الى  
الحجر الأسود ويقبله ، ثم يطوف حول الكعبة الشريفة سبعة أشواط ، ويكون  
رئيس المؤذنين في أعلى قبة زمزم . وعند ما ينتهي الامير من طواف كل شوط ،  
يقصد الحجر الاسود ليقبله ، ثم يرفع رئيس المؤذنين صوته بالدعاء له ،  
وبالتهنئة بحلول الشهر الكريم ، وبعدها يذکر شعرا في مدحه ومدح سلفه .  
ثم يكرر رئيس المؤذنين ذلك عند نهاية الامير من طواف كل شوط من الاشواط  
السبعة ، وبعدها يتوجه الامير عند الملتزم ويصلي ركعتين ، ثم يركع خلف  
مقام ابراهيم ركعتين كذلك ، ثم ينصرف بعدها الأمير . وهذه عادة أمير  
مكة المكرمة عند مستهل كل شهر ، كذلك عند ما يريد الأمير السفر الى أى  
مكان أو عند عودته من السفر . (١)

ولأهل مكة المكرمة عادة حسنة عند مستهل كل شهر فهم يتصافحون ،  
ويتغافرون ، ويهنئ بعضهم البعض بحلول الشهر الجديد ، فتصفاؤهم نفوسهم

(١) ابن جبير ، ص ١٠٩ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٢ ، انظر على بن الحسين  
السليمان ، العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ ، محمود شرقاوى ، رحلة ابن  
بطوطة ، ص ١٠١

ويخلصون لبعضهم البعض أكثر الا خلاص ويحدث ذلك في الاعياد أيضا . (١)

ولشهر رجب مكانة خاصة عند المكين ، فهم يقيمون له الاحتفال العظيم بقدمه ، فهو موسم من المواسم الكبيرة التي توارثوها . وشهر رجب هو أحد الأشهر الحرم ، التي كان القتال فيه محرما ، وهو يسمى شهر الله الأصم ، وذلك لأنه لم يسمع فيه صوت السلاح . (٢) ويعتبر هذا الشهر عند أهل مكة المكرمة عيد من الأعياد ، ويلبسون له أحسن الثياب . والعمرة في هذا الشهر ضرورية جدا عند المكين ، وذكر الرحالة ابن جبير وابن بطوطة أن أهالي مكة المكرمة يقيمون لها الاحتفال العظيم الذي لا مثيل له ، ويشترك فيه كل من في مكة المكرمة رجالا ونساء وصبيانا حيث أنهم يقيمون العمرة في هذا الشهر بوقفة عرفات . وذكر ابن جبير قائلا : " والعمرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية " . كما أن العمرة في هذا الشهر متصلة ليلا ونهارا في هذا الشهر المبارك ، ولكن الاحتفال الأكبر والازدحام الأكثر يكون في ليلة ظهور هلاله وفي أول يوم فيه وكذلك في منتصفه ، وفي السابع والعشرين منه (٣) . ووصف الرحالة ابن جبير وابن بطوطة احتفال أهلي مكة المكرمة في هذا الشهر ، وأشاروا الى خروج المكين ليلة ظهور هلال الشهر المبارك

(١) ابن جبير ، ص ١٠١-١٠٢

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحات



الى التمتع ، وهو ميقات المعتمرين لأهل مكة المكرمة ، وكل يحتفل ويتأنق بقدر استطاعته ، فاختلف بطاح مكة وشعابها بالهواج المحطة على الابل ، وهى مزينة بأبهى أنواع الزينة ، ومكسوة بالحرير والكتان وذلك حسب سعة أصحابها . وخرج جميع أهالى مكة فى تلك الليلة ، ولم يبق أحد من أهلها ومن المجاورين الا وخرج للعمرة ، فالجميع يريدون بركة هذا الشهر وبركة هذه الليلة . ثم وصل هذا الحشد الهائل الى مسجد أم المؤمنين عائشة ثم أحرموا من هناك ، وبعدها توجه الجميع الى المسجد الحرام لأداء العمرة<sup>(١)</sup> وذكر ابن جبير ( كانت ليلة من أغرب الليالى - ومن لم يعاين عجا يحدث به ولا عجا يذكره ، رأى الحشر يوم القيامه لكثرة الخلائق ، محرمين مطهين داعين ، الى الله عز وجل ضارعين ) .<sup>(٢)</sup>

وفى صباح اليوم التالى وهو أول شهر رجب يقيم أهل مكة المكرمة نفس الاحتفال ، ويتابع الرحالة ابن جبير وصف هذا الاحتفال ويذكر بأن الجميع يخرج الى العمرة فى احتفال كبير حسب مراتبهم قبيلة قبيلة ، وحارة حارة حامطين أسلحتهم فرسانا ورجالا ، فالفرسان يلعبون بالاسلحة وهم فوق جيادهم ، أما الرجال فيتواثبون ويتبارون بالاسلحة ، ويرمون بالحراش فى الهواء ثم يبادرون بالتقاطها بأيديهم ، ولا يزالون كذلك الى أن يخرج لهم الأمير بعد أن تدق الطبول احتفالا بدخول الشهر المبارك والقواد يحيطون

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٠١ - ١٠٦ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٣

( ٢ ) ابن جبير ، ص ١٠٨

بسه ، والرايات تخفق من أمامه ، فتمتلىء الطرقات والثلثيات ويتوجه هذا الحشد الهائل الى الميقات للاحرام ، ثم يتوجهون بعدها الى الحرم الشريف ، فيطوف الأمير بالكعبة المشرفة والقراء أمامه والمؤذن الزمزمي يؤذن فوق سطح قبة زمزم داعيا ومهنئا بالشهر الجديد كعادته المتبعة في مثل ذلك الاحتفال <sup>(١)</sup> . ولما ينتهى الأمير من الطواف بين الدعاء والتكبير من قبل المؤذن الزمزمي ، يتوجه الأمير الى المقام ويصلى خلفه ، ثم يتوجه الى باب الصفا لتأدية بقية مناسك العمرة ، ووصف ابن جبير بأن المسعى كان يموج بالساعين والساعيات <sup>(٢)</sup> .

وهكذا تستمر العمرة طوال شهر رجب في وسط الاحتفالات ، ولكن الاحتفال الأكبر يكون في ليلة السابع والعشرين من الشهر ، ويذكر الرحالة المسلمون أن أهالي مكة المكرمة كانوا يحرمون من أكمة أمام مسجد أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ولذلك تسمى هذه العمرة بعمرة الأكمة <sup>(٣)</sup> .

وأشار ابن جبير وابن بطوطة الى أن الأصل في هذه العمرة أن عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه ، لما انتهى من بناء الكعبة المشرفة خرج ماشيا حافيا معتمرا مع أهل مكة المكرمة ، فوصل الى تلك الاكمة وأحرم منها

(١) ابن جبير ، ص ١٠١ - ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

وكان ذلك فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب المبارك . وجعل ابن الزبير طريقة ثنية الحجون التى يخرج منها الى المعلا ، والتى دخل منها المسلمون يوم الفتح . وبقيت تلك العمرة ، عادة متبعة عند أهل مكة المكرمة احتفالا بذكرى اتمام بناء البيت فى ذلك اليوم نفسه ، وعلى تلك الأكمة بمينها .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير الى أن الاحتفال العظيم يقام كذلك فى ليلة التاسع والعشرين من هذا الشهر ، ويكون الطواف حول الكعبة للنساء فقط ، حيث يجتمعن له من كل مكان ، ويحتفلن احتفالا عظيما ، فهو عندهن يوم الزينة المشهور ، ولم تبق امرأة الا وتشارك وتخرج فى هذا الاحتفال . ويتوجه الجميع للمسجد الحرام ، فيقوم الشيبون بفتح باب الكعبة ثم يخرجون مسرعين ليخلو المسجد للنساء ، ثم يقمن بالطواف ويقبلن الحجر الأسود ، ويبدأن فى دخول الكعبة المشرفة متراحات مكبرات " وتسلسل النساء وتشابكن حتى تواقعن ، فمن صائحة ومعولة ومكبرة ومهللة . " <sup>(٢)</sup> والنساء ينتظرن هذا اليوم من عام الى عام ، كانتظارهن لأشرف الأعياد ويكثرن له من التأهب والاستعداد ، حيث أنهن طوال العام يطفن من بعيد ولا يستطعن تقبيل الحجر الأسود ، ولا الدخول فى الكعبة المشرفة ، ويرق لهن قلب الرحالة

(١) ابن جبير ، ص ١١٤-١١٥ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٣-١٦٤ ، انظر على

السليمان ، العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .

(٢) ابن جبير ، ص ١١٦

ابن جبیر فیصفهن قائلا : " وبالجملة فهن مع الرجال مسکينات ، مغبوناً<sup>١</sup> یرین البيت الکریم ولا یلجنه ، ویلحظن الحجر المبارک ولا یستلمنه " .<sup>(١)</sup>

وأضاف أيضا الرحالة ابن جبیر أن من عادة سدنة البيت الشریف من بنی شیبة التوجه فی اليوم الثانی من طواف النساء لغسل الکعبة المشرفة بماء زمزم المبارک ، ويرجع السبب فی ذلك أن الکثیر من النساء یصحببن أولادهن معهن ویدخلنهم فی الکعبة ، لذلك یدخل الشک نفوسهم فسی طهارة البيت العتیق ، فیقومون بفسله لازالة هذا الشک .<sup>(٢)</sup>

ویقام الاحتفال لهلال شهر شعبان المبارک كالعادة المتبعة الا أن احتفالهم یكون أعظم فی لیلة النصف منه ، وهی عند المکین من اللیالی : المعظمة ، وینهادرون فیها الی أعمال البر ، ویعتمرون كذلك ، ویتوجه الجميع الی الحرم الشریف بعد الاحرام .

ویذكر الرحالة ابن جبیر بأنه لم یبق بمكة المکرمة صبی الا وصَّبَح الحرم ، واجتمع الحشد عند قبة بئر زمزم المبارک . ونادوا بلسان واحد " هللوا وکبروا یا عباد الله " فیهلل الجميع ویکبرون وهم مزدحمون علی قبسة البئر ، حیث أن فی اعتقادهم أن ماء زمزم ینفی فی لیلة النصف من شعبان

( ١ ) ابن جبیر ، ص ١١٧

( ٢ ) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ومقصدهم من هذا التجمع هو التبرك من ذلك الماء الفاض . ويقوم السقاة الذين يكونون فوق بئر زمزم بصب الماء على وجوه الناس ، وعلى رؤوسهم ، والناس يكونون يطلبون الزيادة ، وعبر ابن جبير عن ذلك المنظر بأنه كان " مرأى هاثلا مسموعا رائعا " .<sup>(١)</sup>

كما ذكر ابن جبير أيضا أن أحد رفقاءه دخل الى قهوة زمزم بعد عناء ومزاحمة شديدة ، ولما سمع الناس يصرخون ويقولون : " لقد زاد الماء سبعة أذرع " حاول الاستفسار عن صدق زيادة الماء ، فكانت جميع الاجابة<sup>ت</sup> توضح صحة هذه الزيادة . الا أن ابن جبير يذكر أن هذا اختراع كاذب ليس له أساس من الصحة ، حيث أنه أرسل في مساء اليوم الثالث عشر من قام بقياس ارتفاع ماء البئر ، وذلك باسقاط حبل به دلو ، ثم عقد الحبل كعلامة لقياس ارتفاع هذا الماء ، ثم أرسله في صباح اليوم الرابع عشر وقام بقياس الماء عندما صاح الناس بالزيادة ، فوجد أن ارتفاع الماء كما هو ولم يحدث عليه أى تغيير ، ثم أرسله مرة أخرى في مساء ذلك اليوم ، فوجد أن الماء نقص قليلا ، وذلك لكثرة ما سحب منه في ذلك اليوم ولم يستطع أحد التلطف بذلك ، ولو تلفظ أحدهم ربما أسقطوه في البئر أو داسته الأقدام .<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) ابن جبير ، ص ١١٨ - ١١٩

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ١٢١

أما عن الاحتفالات التي كانت تقام في شهر رمضان المعظم ، فقد ذكر ابن جبير وابن بطوطة بأنه اذا ثبت هلال هذا الشهر يأمر أمير مكة المكرمة بضرب الطبول كالعادة المتبعة في استهلال الأشهر ، ويقع الاحتفال فسي المسجد الحرام ، حيث تجدد فيه الحصر ، وتكثر الشموع والمشاغل ويتلأأ الحرم كله نورا ، ويسطح بهجة واشراقا .<sup>(١)</sup>

ويجتمع الأئمة بالحرم الشريف ، ويتفرقون الى فرق لصلاة التراويح فرقة الشافعية ، وفرقة الحنفية ، وفرقة الحنابلة ، وفرقة المالكية . وكل فرقة من هذه الفرق تتخذ لها اماما ومكانا خاصة بالحرم الشريف للصلاة فيه بجماعتها . فكان الامام المالكي كان امام الركن اليماني ، وامام الحنابلة كان يصلي ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ، وامام الحنفية كان امام الميزاب تحت حطيم له هناك . أما الامام الشافعي فكانه في الصلاة كان خلف مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة ابن جبير الى أن فرقة المالكية كانت أزهى الفرق في السنة التي زار فيها مكة المكرمة ، وهي سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م . وذكر بأن

---

(١) ابن جبير ، ص ١١٩ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٦ ، انظر عبد القدوس الانصاري مع ابن جبير ، ص ١٨٦ ، محمود شرقاوي ، رحلتهم ابن بطوطة ، ص ١٠١-١٠٢ .  
 (٢) ابن جبير ، ص ١٢٢ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٦ ، البلوي ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .  
 انظر باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٢٥٣ .

السبب في ذلك هو أن جماعة من التجار المالكية جلبوا معهم لأمام الكعبة شمعا كثير العدد ، كان منه شمعتان كبيرتان بلغ وزنهما قنطارا ، وهاتان نصبتا أمام المحراب وأحيطت بهما شموع صغير وكبيرة ، لذلك جاءت جهة المالكية أكثر بهجة وإشراقا .<sup>(١)</sup>

وكانت جوانب الحرم كلها مزدحمة بالمصلين ، ولم تكن زاوية ولا ناحية إلا وكان فيها قارئ يصلي بجماعته ، لذلك ارتج المسجد لأصوات القراء من كل ناحية .<sup>(٢)</sup>

وصلاة التراويح التي تقام في المسجد الحرام ، يصلون فيها ركعتين ثم يقومون بعدها بطواف سبعة أشواط ، ثم تدق الطبول وتقام ركعتان أخريان وهكذا إلى أن ينتهوا من صلاة التراويح المفروضة ، وعددها عشرون ركعة بعشر تسليمات ، ويصلون بعدها الشفع والوتر ثم ينصرف الجميع . ويذكر الرحالة ابن جبير بأن للشافعي في صلاة التراويح "اجتهاد كبير" فهو يصلي عشرين ركعة بعشر تسليمات أخرى وبنفس الطريقة السابقة ، أما باقي الأئمة فهم لا يزيدون على الصلاة العادية شيئا .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ١٢٢

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن بطوطة ، ص ١٦٦

(٣) ابن جبير ، ص ١٢٣

وذكر الرحالة أن من عادة أهل مكة المكرمة في السحور، أن يقوم المؤذن الزمزمي بعملية التسحير، ويتخذ مكانه في الصومعة التي في الجهة الشرقية من الحرم الشريف، ثم يقوم المؤذن بالدعاء والذكر، ويشجع الناس على السحور، وبقيّة المؤذنين في الصوامع الأخرى. فإذا دعا المؤذن الزمزمي أجابه بقيّة المؤذنين في الصوامع الأخرى، ونصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة تعترضها في رأسها خشبة أخرى كالذراع، وفي طرفيها بكرتان صغيرتان، يرفع عليهما مصباحان كبيران من الزجاج، يكونان مشتعلين مدة السحور. فإذا قرب وقت آذان الفجر، يقوم المؤذن وينزل القنديلين، ثم يبدأ بعدها المؤذن الأذان، ومن كانت داره بعيدة عن المسجد الحرام ولم يسمع الأذان فانه لا يبصر القنديلين المضائيين في أعلى الصومعة، فيعلم عند ذلك أن الوقت قد انقطع، ويقطع عن الأكل. (١)

وهكذا تستمر الاحتفالات طوال شهر رمضان المبارك إلا أنها تكون أكبر وأعم في ليلة السابع والعشرين، وفي جميع ليالي الوتر التي تبدأ من ليلة الحادى والعشرين. ويتم في كل ليلة من ليالي الوتر ختم قراءة القرآن الكريم، ويحضر هذا الختم القاضي والفقهاء والأكابر من أهالي مكة المكرمة. وفي ليلة السابع والعشرين يتقدم القاضي فيصل بالناس فريضة العشاء ويبتدئها بسورة القدر، ويمسك سائر الأئمة عن الصلاة تعظيماً لختمه

---

(١) ابن جبير، ص ١٢٣، ابن بطوطة، ص ١٦٦-١٦٧



المقام ، ويحضرون ليتباركوا بمشاهدتها . ويخرج المقام الكريم من مكانه فى الكعبة المشرفة ، ويوضع فى مكانه المتخذ مصلًى للناس ، والذي يكون مستورا بقبته التى يصلًى الناس خلفها . ويختم الامام الصلاة بتسليمتين ، ثم يقوم خطيبا مستقبلاً المقام والبيت العتيق ، ولما ينتهى يعود الأئمة لأقامـة تراويحهم ، ويعدّها ينفض الجميع راجعين من الله القبول .<sup>(١)</sup>

وهكذا تكون ليالى شهر رمضان المبارك كلها احتفالات ومبادرات مسن الأهالى فى أعمال البر من صلاة وطواف ، واعتمار أفرادا وجماعات .

ويشير الرحالة المسلمون الى الاحتفالات التى كان يقيمها أهالى مكة المكرمة عندما يختم أولادهم القرآن الكريم ، وكان يتم ذلك فى الحرم الشريف فى ليالى الوتر من العشر الاواخر من شهر رمضان المبارك ، والتى تبدأ أولها بليلة الحادى والعشرين . فذكر الرحالة ابن جبير وغيره بأنه كان يختم فيها القرآن الكريم ، ويقوم أحد أبناء أهالى مكة المكرمة بختمة القرآن وذلك فى احتفال عظيم يقام بالحرم الشريف ، ويحضره كل من قاضى مكة المكرمة ومجموعة من الشيوخ ، ويقوم الصبى فيهم خطيبا ، ويعدّها يستدعى والده الى منزله لتناول الطعام والحلوى التى أعدّها لهم لهذه المناسبة .

وأثناء زيارة الرحالة ابن جبير لمكة المكرمة فى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م

---

(١) ابن جبير ، ص ١٣٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٧

وفي الليلة الثالثة والعشرين رأى طفلا لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وهو ابن أحد أهالي مكة المكرمة من ذوى اليسار ، أقام له والده احتفالا عظيما في هذه الليلة ، وصفه ابن جبير قائلا : " أعد له ثوبا مصنوعة من الشمع مُفَصَّنة قد انتظمت فيها أنواع الفواكه الرطبة واليابسة " . وأعد كذلك شموعا ، ثم وضع له منبرا ، وشبيه محراب مربع في وسط الحرم الشريف تجاه باب بنى شبيبة ، وهذا المحراب يرتفع على أربعة قوائم ، ويربط في أعلاه أعواد أنزل منها قناديل ومصابيح ، ودائرة سحره بمسامير حديدية غرز فيها الشمع ، ثم أوقدت الثريا المُفَصَّنة ذات الفواكه . وبدأ الاحتفال حيث حضر الامام الطفل ، وصلى بالناس التراويح وختم ، وكان المسجد الحرام يفيض بالرجال والنساء ، والطفل في مكانه لا يكاد يرى من شدة الاضواء المسلطة عليه . ثم ظهر الطفل في محرابه ، وهو يرتدى الملابس الفاخرة " مكحل العينين مخضوب الكفين " <sup>(١)</sup> . ولم يستطع الصعود الى المنبر من شدة الزحام ، فحمله أحد السدنة بين ذراعيه ثم وضعه في منبره ، وجلس وهو يبتسم وسلم على الحاضرين .

وأشار ابن جبير بأنه جلس بين يديه قراء فبدأوا بالقراءة على لسان واحد ، الى أن أكملوا عشر القرآن ، ثم قام فيهم خطيبا وأبدع في ذلك ، ثم ختم الخطبة بتوديع الشهر المبارك ، ودعا الطفل للخليفة ولكل من جرت

---

(١) ابن جبير ، ص ١٢٧-١٢٩

العادة بالدعاء له ، ثم انفض الجمع بعد أن نزل الصبي ، ودعا والده قاضى مكة وبعضا ممن يرغب فى استدعائهم الى منزله حيث تناولوا الاطعمة والحلوى التى أعدها لهذا الاحتفال . وختم ابن جبير حديثه قائلا : " وكانت لأبى الخطيب فى تلك الليلة نفقة واسعة " .<sup>(١)</sup>

وتكرر مثل ذلك الاحتفال فى ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك ، وكان الامام الحنفى أعد ابنه الذى بلغ من العمر خمسة عشر عاما كذلك ، وأقام له احتفالا عظيما . وبعد الانتهاء من الصلاة والقراءة والخطبة استدعاهم الامام لمنزله فى تلك الليلة لتناول الطعام .<sup>(٢)</sup>

ومن عادة أهل مكة المكرمة اقامة الاحتفال فى ليلة هلال شهر شوال . حيث هو أول أشرف الحج المعلومات ، وعادتهم فى ذلك ايقاد المشاعل ليلة استهلاله ، ويقام الاحتفال فيه كبقية احتفالاتهم ببقية الأشهر ، وتوقد الشموع والثريات ، كما توقد صوامع الحرم الشريف من جهاته الأربع كما يوقد سطح المسجد الذى بأعلى جبل أبى قبيس ، كما يقوم المؤذن الزمزمى ليلته كذلك فى أعلى سطح قبة زمزم يهلل ويكبر ويسبح الله ، والأئمة يقومون باحياء هذه الليلة ، والكثير من أهالى مكة المكرمة بين طائف ومهلل ومكبر .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ابن جبير ، ص ١٢٧-١٢٩

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ١٢٩-١٣٠

( ٣ ) ابن جبير ، ص ١٣٣ ، التجيى السبتي ، ص ٤٦٣ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٨

وبعد صلاة الصبح يبدأ الناس فى الاستعداد للعيد ، فيلبسون أحسن الثياب ويتبادرون بالذهاب للصلاة العيد بالمسجد الحرام ، وأول من يكر للمسجد الشيعيون لفتح باب الكعبة للزوار ، ويجلس زعيمهم على عتبة بابها الشريف ينتظر وصول أمير مكة المكرمة ، وعند وصوله يستقبله الشيعيون ، ويتوجه الجميع تجاه الكعبة المشرفة ، ثم يشرعون فى الطواف ، والحرم قد غص بالناس والمؤذن الزمى كعادته فوق قبة زمزم ، يرفع صوته بالدعاء والثناء للآمير ، ثم يأتى خطيب مكة المكرمة فى احتفال كبير جهة المقام فيصلى بالناس خلف المقام ، ثم يرتقى المنبر الذى ألصق الى موضعه المعين له فى كل يوم جمعة عند جدار الكعبة المشرفة ، ويخطب فى الناس خطبة بليغة ، والمؤذنون يكونون على أذراج المنبر ، ويكبرون الى أن تنتهى الخطبة وبعد ها يتصافح الناس ويسلم بعضهم على بعض ويتبادلون التهنئة بالعيد وهم فرحين مسرورين ، ثم يتوجهون الى الكعبة المشرفة للدخول فيها ، وبعد ذلك يتجهون الى الجبانة بالمعلى لزيارة موتاهم . (١)

ومن عادة أهل مكة المكرمة فى مستهل شهر ذى القعدة - كما ذكر الرحالة المسلمون - مراقبة هلاله ، ولا يعلن بداية الشهر الا بشهادة يثبتها أهل الثقة عند قاضى مكة ، ثم يعلن القاضى ثبوت رؤية الهلال للعامة كما هى العادة المتبعة فى اعلان بداية الأشهر الحرم . وشهر ذى القعدة

---

(١) ابن جبير ، ص ١٣٣-١٣٤ ، التجيى السبتي ، ص ٣٦٤ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٧-١٦٨ ، عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ، ص ١٨٨

يعتبر ثاني الأشهر الحرم ، وفي اليوم السابع والعشرين منه تشر أستار الكعبة المشرفة مقدار قامة ونصف من الجهات الأربعة ، وأهل مكة يسمون ذلك احرام الكعبة .<sup>(١)</sup>

وكان أهالي مكة المكرمة يرقبون هلال شهر ذي الحجة ، والكثير منهم ومن المجاورين والحجاج يختلقون شهادات زور تؤيد رؤية الهلال حرصاً منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة ، وكأن الحج عندهم لا يرتبط الا بهذا اليوم بعينه أى يوم الجمعة .<sup>(٢)</sup> وكانت عادة أهل مكة المكرمة اقامة الاحتفال العظيم فى أول يوم من هذا الشهر المبارك ، فتضرب فيه الطبول والدفادب معلنة دخول الشهر الجديد . وتستمر هذه الطبول والدفادب حتى يوم الصعود الى عرفات وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، ويسمى هذا اليوم عند أهل مكة المكرمة بيوم التروية ، ويتوجه فيه الناس بالصعود ، الى منى حسب السنة ثم يتوجهون بعدها الى عرفات .<sup>(٣)</sup>

وفيهم من كتابات الرحالة المسلمين أنه كان للأريطة التى أقامها السلاطين والأمراء ، وأصحاب الأموال والجاه ، وفاعلوا الخير دور هام فى الحياة الاجتماعية لسكان مكة المكرمة ، فقد عملت هذه الأريطة على توفير وسائل

---

( ١ ) التجيى السبتي ، ص ٤٦٥ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٨ .  
 ( ٢ ) ابن جبير ، ص ١٤٦ ، انظر عبد القدوس الانصارى ، ص ١٨٩-١٩٠ .  
 ( ٣ ) ابن جبير ، ص ١٤٩ ، ابن بطوطة ، ص ١٦٨-١٦٩ .

الراحة لطلاب العلم الوافدين الى مكة المكرمة من البلاد الاسلاميـة ،  
وللفقهاء المجاورين فى مكة المكرمة ، الذين جاءوا من الاقطار الاسلاميـة  
البعيدة ، ثم جاؤوا فى مكة المكرمة بالحرم الشريف راجين الرحمة والرضا من  
الله سبحانه وتعالى ، وهؤلاء كان لهم دور عظيم فى نشر العلوم فى مجتمع  
أهل مكة المكرمة ، كما كان هؤلاء يجدون فى هذه الأربطة راحة لهم ، مما  
شجعهم على زيادة نشر العلوم والثقافة .<sup>(١)</sup> وبالإضافة الى ما تقدمه الأربطة  
من راحة للطلاب والمجاورين ، كان الحجاج يجدون فيها مأوى لهم حيث  
يسكنون فيها ، وتوفر هذه الأربطة سبل الراحة للغرباء فتقدم لهم المأكـل  
والمشرب ، وبذلك كان لها أكبر الاثر فى زيادة عدد الوافدين الى مكة المكرمة  
وكان لها أيضا الفضل فى رفع المستوى العلمى والثقافى فى الدين فتسابق  
طلاب العلم الى السكن فى هذه الأربطة ، وخاصة بعد أن أوقفت عليها أوقاف  
كثيرة من قبل السلاطين والأغنياء وغيرهم .

وأشار الرحالة ابن بطوطة الى أن أميرى مكة المكرمة أثناء زيارته  
لها فى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م كان عطيفة ورميثة ولدى الأمير أبى نمسى  
الحسنى ، وذكر بأن دار الأمير عطيفة كانت على يمين المروة برباط أم الخليفة  
العباسى ، ودار الأمير رميثة برباط الشرايى عند باب بنى شيبة .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) انظر ابن بطوطة ، ص ٢٥٣ - ١٥٤

( ٢ ) ابن بطوطة ، ص ١٤٨

كما أشار الرحالة ابن بطوطة كذلك الى المقرئ برهان الدين المصرى الذى كان يسكن بهياط السدرة ، وكذلك أشار الى رباط ربيع ، ورباط الموفق ، ورباط ابن كلاله الطيسى .<sup>(١)</sup>

ورباط أم الخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى ذكره الرحالة ابن بطوطة - هو رباط كان يسكنه أمير مكة المكرمة عطيفة بن أبى ندى ، لذلك عرف الرباط باسمه وترجع عمارة هذا الرباط الى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، وكان وفقا على الفقهاء<sup>(٢)</sup> . وذكر الفاسى أن الأمير عطيفة وجد فى سقفه كمية كبيرة من الفضة فى الجانب الذى يلي المسجد الحرام ، أرشده لها نجار من أهل مكة لم يكن يعلم بأمرها ، ولا حظها بذكائه عندما نظر الى السقف ، وأخرج النجار لعطيفة جميع ما به من الفضة .<sup>(٣)</sup>

أما عن رباط الشرايى فهو يقع فى الجانب الشرقى من الحرم تحسنت منارة باب بنى شيبه<sup>(٤)</sup> ، وهذا الرباط ينسب الى الأمير اقبال بن عبد الله

(١) ابن بطوطة ، ص ١٥٢-١٥٤

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ ، الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ص ١١٨ ، شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٣) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٠١-١٠٢

(٤) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٠٤

المعروف بالشرابي<sup>(١)</sup> ، الذى له عدة مآثر منها هذا الرباط . وأوقف الأمير الشرابى أوقافا كثيرة للانفاق على رباطه ، كما جعل قسما منه مكتبة تضم كتباً عديدة جعلها وقفا للرباط وكان ذلك سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م .<sup>(٢)</sup>

ورباط السدرة - الذى ذكره الرحالة ابن بطوطة - كان يقع فى الجهة الشرقية بجوار باب بنى شيبة ، وكان وقفه سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م<sup>(٣)</sup> وهو أحد الأربطة الذى كان له دور فعال فى رفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية بمكة المكرمة . وأشار ابن بطوطة بأن هذا الرباط اكان يقصده أهل الشام وأهل مصر ، ويقدمون لقاطنيه المساعدات ويتصدقون عليهم كثيرا . وأشار ابن بطوطة أيضا الى أحد المقرئين الموجودين سكن بهذا الرباط ، وأنه كان يعلم فيه الأيتام كتاب الله تعالى ، بالإضافة الى مساعدته لهم بالكسوة والغذاء .<sup>(٤)</sup>

---

(١) هو الأمير شرف الدين ، أحد ممالك الخليفة المنتصر بالله العباسى

انظر الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٥ ، النهروالى ، الاعلام ، ص

٩٨ ؛ الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٣٣٠

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ص ١١٨

(٤) ابن بطوطة ، ص ١٥٣



أما عن رباط ربيع الذى أشار له ابن بطوطة أيضا ، فقد أوقفه عن السلطان الملك الأفضل نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي شخص يقال له ربيع بن عبد الله بن محمود الماردىنى ، ولذلك اشتهر الرباط باسمه .

وموقع هذا الرباط فى منطقة أجياى ، ويرجع تاريخ وقفه الى سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م وكان وقفه على الفقراء الغرباء من المسلمين .<sup>(١)</sup> وأشار ابن بطوطة بأنه يوجد بداخل هذا الرباط بئر عذبة ، وكان أهل الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا ، كما كانوا يندرون له النذر ، ومن عادتهم أنهم يحضرون الى قاطنيه الفاكية ، فكل من له بستان نخيل أو بستان عنب أو خوخ أو غيره من أنواع الفاكية ، فانه يخرج منه العشر لسكان هذا الرباط ويقومون بايصالها على جمالهم الى مكة المكرمة . وفى اعتقاد أهل مكة أنه من لم يف بذلك المعهود فانه يخسر تجارة ونتاج أرضه فى السنة التى تليها .<sup>(٢)</sup> وكان يسكن هذا الرباط الكثير من الفقراء والمعلمين . وذكر ابن بطوطة اسم الفقيه أبو الحسن ابن رزق الله الانجبرى من أهالى طنجة ، وهو من كبار الصالحين الذين جاؤوا بمكة أعواما كثيرة .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٤-٢٤٥ ، عائشة باقاسى ، الحجاز فى العصر الأيوبي ، ص ١٣٢ .  
 (٢) ابن بطوطة ، ص ١٥٤ ، انظر الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢١ ، ج ٥ ، ص ٩٤-٩٥ ، ج ٨ ، ص ١٥٢ .  
 (٣) ابن بطوطة ، ص ١٥٤ .

ورباط الموفق الذى ذكره ابن بطوله ، كان بالقرب من باب ابراهيم .  
 وذكر الرحالة بأن هذا الرباط يعد من أحسن الأربطة بمكة المكرمة <sup>(١)</sup> . وأوقف  
 هذا الرباط الموفق على بن عبد الوهاب الاسكندرى وذلك فى سنة ٦٠٤ هـ  
 ١٢٠٧ م أوقفه وحبسه على الفقراء الغرباء المتعبدين ، والمحتاجين <sup>(٢)</sup> ،  
 وأوقف على هذا الرباط عدد كبير من الكتب ، ووجد على بابه حجر مكتوب  
 عليه عدة تراجم منها اسم صاحبه على الاسكندرى المعروف بالموفق <sup>(٣)</sup> . وذكر  
 الرحالة ابن بطوطة بأنه سكن هذا الرباط عندما جاور بمكة المكرمة ، كما  
 سكنه كثير من الشيوخ والصلاح منهم الشيخ عبد الله مطرف الاندلسى  
 الذى أشار الرحالة التجيبي السبتي بأنه قابله فى هذا الرباط عندما كان  
 بمكة المكرمة <sup>(٤)</sup> .

وأشار الرحالة ابن بطوطة أيضا الى رباط ابن كلاله الطيبي الذى  
 كان وقفا على الفقراء والمساكين <sup>(٥)</sup> . وشيد هذا الرباط أبو القاسم بن كلاله  
 الطيبي ، وكان ذلك فى سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م وكان موقعه تجاه باب المسعى <sup>(٦)</sup>  
 ولا شك أن هذه الأربطة لعبت دورا هاما فى الحياة الاجتماعية فى مكة المكرمة  
 لقرون طويلة من الزمان .

--

- 
- (١) ابن بطوطة ، ص ١٤٠
  - (٢) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .
  - (٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤
  - (٤) ابن بطوطة ، ص ١٤٠ ، التجيبي السبتي ، ص ٤٥٥
  - (٥) ابن بطوطة ، ص ١٥٤
  - (٦) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ج ٨ ، ص ٩٠ ، شفاء  
 الفرام ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

# الفصل الخامس

## الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة كما وردت في كتب الرحالة المساحين

- \* المسجد الحرام وحلقات العلم
- \* مدارس مكة المكرمة ومشاهير العلماء  
والفقهاء

تمتع المجتمع المكي بحياة علمية وثقافية مزدهرة ، كان مركزا شعاعها المسجد الحرام ، حيث ان المسجد الحرام لم يكن مكانا للعبادة فقط ، بل كان مركزا تعليميا وثقافيا في غاية الأهمية . ولقد أشار الرحالة ابن جبير<sup>(١)</sup> الى حلقات العلم التي كانت تقام في المسجد الحرام ، حيث كان يجتمع فيه العلماء والفقهاء الذين وردوا من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، وتخصصوا في مختلف أنواع العلوم والآداب . والكثير من هؤلاء العلماء والفقهاء جاؤوا بالحرم الشريف رغبة في الأجر والثواب ، مما كان لهم أكبر الأثر في رفع المستوى العلمي والثقافي .

لذلك فالمسجد الحرام كان يعد مركز تجمع للعلماء والفقهاء والأدباء

وذكر الرحالة ابن بطوطة وغيره من الرحالة المسلمين أسماء بعض الفقهاء والمجاورين الذين قابلوهم بالمسجد الحرام في مكة المكرمة<sup>(٢)</sup> . فهذا هو الرحالة البلوي يقول : " ثم تابعت لقاء العلماء والمحدثين واستقرهت المجاورين منهم جماعة حطة يضيق هذا المجموع عنهم ويتسع برنامج روايتي لهم " .<sup>(٣)</sup>

لذلك فالمسجد الحرام كان له دور فعال في نشر العلم والثقافة في مجتمع مكة المكرمة ، ومن ثم كان له دور هام في حفظ تراث العرب والمسلمين

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٨

( ٢ ) التجيبي السبتي ، ص ٤١٥ ، ابن بطوطة ، ص ١٤٩-١٥٤ ، البلوي ، ج ١

ص ٣١٣-٣١٤

( ٣ ) البلوي ، ج ١ ص ٣١٣

كما كان لمكة المكرمة دورها القيادي في حفظ هذا التراث للأمة الإسلامية.

وكانت حلقات العلم تقام في المسجد الحرام ، وكان يشرف عليها مدرسون وعلماء أكفاء ، وأشار الرحالة ابن جبير معبرا عن ذلك " والحرم محقق بحلقات المدرسين وأهل العلم " <sup>(١)</sup> لذلك شهدت أروقــة المسجد الحرام حلقات العلم التي كانت تقام فيها .

لذلك كانت الحياة العلمية بالحرم الشريف مزدهرة زاهية، وكان الحرم المكي يمتلئ بالمتعبدين وطلبة العلم من أهل مكة المكرمة واليمن ، وزيلع ، والعراق ، ومصر ، والشام ، كما أن أهل العلم كانوا يجدون الاحترام والتكريم في مكة المكرمة . كذلك لم يقتصر في المسجد الحرام على القاء الدروس الدينية للوعى الديني فقط وإنما كان المسجد مركزا للتعليم في مختلف العلوم الإسلامية خاصة علوم الحديث والتفسير والفقه . <sup>(٢)</sup>

وكان لكل مذهب من المذاهب ركن خاص به في المسجد الحرام يلقي فيه الامام الدروس ويصلى بجماعته فيركنه المخصص له ؛ فكان امام الشافعية

( ١ ) ابن جبير ، ص ٦٨

( ٢ ) محمد حسين يوسف : رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ ( مؤتمــر بحوث رسالة المسجد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٤٦٦ .

يتخذ مكانه خلف مقام ابراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام ، والامام المالكي مكانه عند الركن اليماني ، والامام الحنفي مكانه أمام الميزاب ، أما الامام الحنبلي فيتخذ مكانه مابين الحجر الأسود والركن اليماني .<sup>(١)</sup>

وكثرت رحلات العلماء الى مكة المكرمة ، كما كثر ارتياد طلاب العلم فيها وما شجعهم على ذلك وجود الأريطة العديدة بمكة المكرمة حيث أنها ساعدت على ازدياد طلاب العلم والعلماء في مكة المكرمة لما تقدمه لهم من مساعدات مادية بالاضافة الى توفر المسكن لهم .

وأشار الرحالة ابن بطوطة الى أسماء بعض المجاورين من العلماء والفقهاء والحجاج الذين كانوا يسكنون في هذه الأريطة ويعيشون على متحصلات أوقاف السلاطين والمحسنين<sup>(٢)</sup> ، يضاف الى ذلك أن سبب كثرة العلماء والطلاب في مكة المكرمة يرجع الى توفر الهدوء السياسي الذي تمتعت به أم القرى نتيجة بعدها عن الفتن السياسية .<sup>(٣)</sup>

وكانت حلقات الدروس تعقد يوميا في المسجد الحرام ، كما كان المحاضر أو الشيخ يقوم بالحضور بانتظام يوميا ويلقى دروسه بأمانة واخلاص . كما

(١) ابن جبير ، ص ٧٨ ، التجيبي السبتي ، ص ٢٩٧

(٢) انظر ابن بطوطة ، ص ١٥٣-١٥٤

(٣) عبد الرحمن صالح ، تاريخ التعليم بمكة ، ص ٤٠-٤١

كان الطالب يعمل بجد واجتهاد ، لذلك كانت الدراسة تسير بأنسأة وصبر وتفهم<sup>(١)</sup> ، ولم تكن الدراسة في المسجد الحرام تسير وفق منهج معين ومقرر ثابت ولكن كان المدرس يقرر ما يريد تدريسه بنفسه ، كما كان يلقي على طلبته العلوم التي تبهر فيها<sup>(٢)</sup> . وكان على الطالب أن يختار المدرس والاستاذ المناسب له . وكانت الطريقة المتبعة في التدريس هي طريقة الاملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراسة .<sup>(٣)</sup>

وبعد استيعاب الطالب للدروس يمنحه استاذة أجازة للتدريس فى الموضوع الذى درّسه . وكثيرا ما كان يحصل الطالب على اجازات من عدة مدرسين . وكانت الطريقة المتبعة فى منح الاجازات هي الطريقة التقليدية العلمية القديمة وهى التى اتبعها علماء الحرم الشريف والتى وجدت فى المجتمع الاسلامى منذ القرون الاولى للهجرة .<sup>(٤)</sup>

واتضح من كتابات الرحالة المسلمين أن الدروس الدينية التى كانت تدرس وتلقى بالحرم الشريف ، كانت متمثلة فى الحديث والتفسير والفقه . ولم تكن هذه الدروس قاصرة على أهالى مكة المكرمة فقط ، بل نهل منها

(١) محمد عبد الرحمن الشامخ ، التعليم فى مكة والمدينة ، ص ٩-١١

(٢) على السليمان ، العلاقات الحجازية ، ص ٢٢٣

(٣) عبد الرحمن الحوت ، رسالة المسجد والا مام ( بحوث مؤتمر المسجد -

١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م - ص ١٥٣-١٥٥

(٤) محمد عبد الرحمن الشامخ ، التعليم فى مكة والمدينة ، ص ١٨-١٩

الكثير من علماء المسلمين الذين حضروا الى مكة من مختلف الديار الاسلامية والذين كانوا يقدون للحرم الشريف خصيصا لتلقى العلوم والمعارف التي كانت تدرس فيها .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة العبدري الى الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة وذكر بأن المستوى العلمي والثقافي كان ضعيفا في المجتمع المكي ، وقال : " وبالجملة فقد ضعف العلم بتلك البلاد لضعف العيش بها " .<sup>(٢)</sup> وقول العبدري مردود عليه لما عرف عنه من نقد لاذع لمعظم المدن الاسلامية التي زارها .

وتحدث الرحالة المسلمون عن أئمة المسجد الحرام ، وعن أماكنهم المخصصة لكل منهم فيه وذلك للصلاة وللدعاء وللدراسة ، وسبق أن أشرنا الى الأماكن المخصصة لهم .<sup>(٣)</sup> وأشار الرحالة المسلمون الى أن هناك غير الأئمة الأربعة السنيين امام خاص لفرقة " الزيدية " .<sup>(٤)</sup>

(١) عبد الرحمن الصالح ، تاريخ التعليم بمكة ، ص ٤٣ ، : محمد عبد الرحمن الشامخ ، التعليم في مكة والمدينة ، ص ١١-١٤

(٢) العبدري ، ص ٢٠٠ ،  
(٣) ابن جبير ، ص ٧٨ ، التحيبي السبتي ، ص ٢٩٧-٢٩٩ ، البلوي ج ١ ص ٣٠٦ ، انظر ما سبق ص

(٤) ابن جبير ، ص ٧٨ ، التحيبي السبتي ، ص ٢٩٧-٢٩٩ ، والزيدية فرقة من فرق الشيعة وهم في عرف الفقهاء والمتكلمين اتباع علي رضي الله عنه وبنوه والشيعة جميعا متفقون على ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ، بل ان الامام يتولى فيها بالتعيين ، ويستدلون على ذلك بنصوص يؤولونها على مقتضى مذهبهم . ومؤسس المذهب الزيدي هو زيد ابن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، الذي ولد سنة ١٢٢ هـ ، وقتل وسنه لا تتجاوز الثانية والاربعين وقيل ان امه كانت من السنة ، كانت ذات ذكاء وعلم واسع . انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٧٥ ، ١٧٧ ، ابو زهرة ، الامام زيد ، ص ١٠٨ ، ٢٢٠ .



وأشار الرحالة ابن جبير وغيره الى أن أشراف مكة المكرمة كانوا على هذا المذهب الزيدى ، وهم يزيدون فى الآذان " حى على خير العمل " وذلك بعد قول المؤذن حى على الفلاح " وهؤلاء لا يؤيدون صلاة الجمعة مع الجماعة ، بل يصلونها ظهرا أربع ركعات ، بالاضافة الى أنهم يصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاة الجماعة . وكان أول من يقوم بالصلاة هو امام الشافعية ومكانه خلف مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ماعدا صلاة المغرب فيصلينها الاثمة كلهم فى وقت واحد ، وذلك لضيق الوقت بين صلاة المغرب والعشاء ، لذلك فهم يصلونها فى وقت واحد مجتمعين . ويبدأ المؤذن الشافعى بالاقامة ، ثم يقيم بعدها موعظا سائر الأئمة . وكل امام يصلى بجماعته وطائفته ، لذلك يدخل على الناس سهو وغفلة فى صلاتهم .

وأشار الرحالة بأنه كان كثيرا ما يحدث الخلط فى هذه الصلاة وربما ركع المالكي بركوع الشافعى ، وسجد الحنفى بسجود الحنبلى ، أو ربما سلم أحدهم بغير سلام امامه .<sup>(١)</sup>

والتجيبى السبتي أشار الى أن فرقة الزيدية كان موقفها وموقف امامها بين الركنيين اليمانيين .<sup>(٢)</sup>

(١) ابن جبير ، ص ٧٨-٧٩ ، التجيبى السبتي ، ص ٢٩٦-٢٩٩ ، ابن بطوطة

ص ١٦٠ ، حسين باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٩

(٢) التجيبى السبتي ، ص ٢٩٧

وكان للقراء والوعاظ بالحرم الشريف دور عظيم في الحياة العلمية والثقافية . وأشار الرحالة ابن جبير الى أن تأثير القراء والوعاظ كان عظيماً في سامعيهم في الحرم الشريف ، وذكر بأنه عندما كان بمكة المكرمة في ليلة النصف من شهر ذي الحجة من عام ٥٧٩ هـ سمع أحد هؤلاء الوعاظ وكان من الخراسانيين ، سمعه وهو يقرأ بعد صلاة العشاء ، فأعجب كثيراً منه ، لأنه كان يجمع بين اللسان العربي الفصيح ، واللسان الأعجمي ، وذكر<sup>(١)</sup> بأنه كان ساحراً في وعظه باللسانين ، كما كان فصيحاً في المنطق ، بارعاً في الالفاظ فكان يخطب بالاعجمية للاعاجم من الفرس فيطربهم ويؤثر فيهم تأثيراً عظيماً ، ثم يخطب باللغة العربية الفصحى للعرب " فيذيبهم لعجايباً<sup>(٢)</sup> وكانت تنهال الاسئلة على هؤلاء الوعاظ للاستفسارات وللتفقه ، وكانوا يجيبون عليها اجابات سريعة بليغة تنطق عن سحر البيان ، وكانت هذه هي طريقتهم في القاء المسائل في الوعظ والارشاد . وذكر ابن جبير أيضاً بأنه كان بين هؤلاء الوعاظ قراء ينغمون بالقراءة وذلك بألحان بديعة ، وعبر ابن جبير قائلاً : " ومن بين أيدي هؤلاء الوعاظ قراء ينغمون بالقراءة فيأتون بألحان تكسب الجماد طربها ، فلا تدرى من أي أحوال هذا المجتمع تعجب<sup>(٣)</sup>

وأشار الرحالة التجيبي السبتي بأنه عندما وصل لمكة المكرمة سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦ م ، كان الحرم يزدحم بالناس ، حيث وفد اليه عدد كبير

(١) ابن جبير ، ص ١٥٩

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٠

من المصريين ، وغيرهم لانه كان فى اعتقادهم بأن الوقفة فى عرفات ستكون يوم الجمعة ، لذلك ازدحم الحرم الشريف . وكان من جملة الوافدين اليه جماعة من القراء المعروفين والمشهورين بجمال الصوت ، وكان هؤلاء القراء فى كل ليلة عند باب بنى شيبه ثم يتلون جزءا من كتاب الله العزيز ، وذلك بصوت جميل بديع " تكاد تخشع لحسن أصواتهم الجمادات " .<sup>(١)</sup> وكان من بين هؤلاء القراء قارئ وصفه التجيبي بأنه أحسن الناس صوتا فى قراءة وترتيل القرآن الكريم . وكان هذا القارئ " يقصد الى المدرسة المنصورية اذا مضى جزءا من الليل ، فيصعد على سطح المدرسة الذى يشرف على الحرم الشريف ويتلو القرآن بصوت مرتفع يسمعه كل من فى المسجد الحرام ، فكان الجميع يصفى اليه ويستحسنه ويستطيعه .<sup>(٢)</sup>

كما أشار أيضا التجيبي السبتي الى أحد الفضلاء المجودين من قراء كتاب الله الكريم ، وذكر بأنه معروف ومشهور بقراءته فى الحرم الشريف منذ عدة سنين ، وهو يدعى عبد الله الدلاصى ، ووصفه التجيبي السبتي بأنه زاهد ورع عابد شافعى المذهب<sup>(٣)</sup> ، وهذا الشيخ الفقيه يدعى أبو محمد ابن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الاحد بن على المخزومى القرشى . وكان

---

( ١ ) التجيبي السبتي ، ص ١٠٩

( ٢ ) المصدر السابق ، ص ٤٥٩ ، وعن المدرسة المنصورية انظر ما يلى ص ١٦٣

( ٣ ) التجيبي السبتي ، ص ٤٠٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦

مولده بدلاص في سعيد مصر وذلك في سنة ١٢٣٢ هـ / ١٢٣٢ م وهو مصري المنشأ وصف بالعفيف كما وصف بأنه مقرأ مكة المكرمة . قرأ على الكثيرين بمكة وكان يقرأ كتاب الله تعالى بدون أجر ، لا يريد من ذلك الا ابتغاء وجهه الله تعالى ورحمته . وحج هذا الشيخ عدة مرات ، ثم استوطن بمكة المكرمة الى أن توفي بها في سنة ١٢٢١ هـ / ١٣٢١ م ودفن بالمعلا .<sup>(١)</sup>

وأشار الرحالة ابن بطوطة عن مقرأ آخر كان حسن الصوت ويسكن برباط السدرة ، ويدعى برهان الدين ابراهيم المصري ، وكان يقوم بتعليم الأيتام كتاب الله تعالى ، كما كان يقدم لهم المؤونة والمساعدة كما كان له فضل في رفع مستوى التعليم في مجتمع أهل مكة المكرمة .<sup>(٢)</sup>

كما أن هناك عدد كبير من المجاورين بالحرم الشريف ، ومن المعروف أنهم ممن قدموا للاستمتاع بالمجاورة لبيت الله الحرام ، رغبة في الأجر والثواب ، والبعض منهم كان قد قدم للتجارة ، ومنهم من قدم رغبة في الاستزادة بالعلوم الدينية التي كانت تلقى بالحرم الشريف ، والبعض منهم جاور رغبة في التمتع بالهدوء الذي امتازت به مكة المكرمة<sup>(٣)</sup> وهؤلاء المجاورين

(١) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٩٦-١٩٨ ، ابن حجر ، الدرر

الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) ابن بطوطة ، ص ١٥٣ .

(٣) سبق التعريف عن طبقة المجاورين ، انظر الفصل الرابع ص ١٢٢ .

من الفقهاء والعلماء كان لهم فضل كبير في رفع المستوى التعليمي فسي المجتمع المكي ، كما ساهموا في ازدهار العلوم وقتئذ .

وكان القرن السابع الهجري يتصف بقلة عدد المجاورين ثم بدأ عددهم في الازدياد حتى صاروا في القرن الثامن جزءا كبيرا من المجتمع الاسلامي فسي مكة المكرمة . ومن أسباب ذلك كثرة عدد الأربطة التي أقيمت بمكة وما كان ينفق عليها من متحصلات أوقاف الخلفاء والولاطين كما أشار البحث من قبل . وقد أشار الرحالة ابن بطوطة الى أسماء كثير من هؤلاء المجاورين .<sup>(١)</sup>

أما في القرن التاسع الهجري فقد حفل مجتمع مكة بمئات المجاورين بعد أن تدفق على مكة المكرمة في النصف الثاني من ذلك القرن عدد كبير من القاهريين للمجاورة بمكة المكرمة .<sup>(٢)</sup>

وأشار الرحالة الى أسماء كثير من المجاورين ، فذكر الرحالة التجيبي السبتي الى الفقيه والامام الفاضل المجاور لحرم الله تعالى أبو عمر عثمان ابن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزري المالكي<sup>(٣)</sup> . وكان

(١) انظر ابن بطوطة ، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٢) على السليمان ، العلاقات الحجازية ص ٢٢٩

(٣) التجيبي السبتي ، ص ٤١٥ ؛ وتوزر نسبة لمدينة توزر بتونس .

من المجاورين الصالحين ، والنبلاء المحدثين ، ولد بالحنبوشية من بسلاد  
 الفيوم سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ثم قدم القاهرة ، وسمع بها عددا لا يحصى  
 من الكتب ، منها موطأ الامام مالك ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وجامع  
 الترمذى ، وسنن أبى داود ، والنسائى وغيره . وسافر الى مكة المكرمة ففى  
 سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م ، وعندها أخذ يتردد عليها الى أن قدم بها سنة  
 ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، وأقام بها مجاورا . وسمع الكثير من عدة مشايخ من  
 مختلف البلاد ، فكان له مشايخ بالد يار المصرية ، ومشايخ بالبلاد الشامية  
 والحجازية ، وذكر بأنهم أكثر من ألف شيخ ، كما أن له مرويات عديدة ،  
 وتوفى سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م بمكة المكرمة ، وصلى عليه فى مقام ابراهيم ،  
 ودفن بالمعلا ، وكان عمره ٨٣ سنة .<sup>(١)</sup>

ومن مجاورى الحرم الشريف كذلك ، والذين لعبوا دورا هاما فى  
 الحياة العلمية والثقافية فى مكة المكرمة ، وأشار لهم الرحالة التجهيمسيين  
 السبتي الشيخ أبو الفدا اسماعيل المصرى ، وهو شيخ كبير من ، كان دائما  
 ينقطع عن الناس ، وكان يتعبد بالحرم الشريف ، سمع الكثير من الكتب منها  
 صحيح البخارى ، وكان ينعت بالظهير ، كان له تأثير كبير فى من يسمعه من  
 أهالى مكة المكرمة .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٤٢-٤٦ ، ج ٦ ، ص ٣٢ ، ابن

العماد ، شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٢ .

( ٢ ) التجهيمسي السبتي ، ص ٤٣٢-٤٣٣

وأشار الرحالة ابن بطوطة الى أسماء بعض المجاورين الذين قابلهم بمكة المكرمة ، نذكر منهم الفقيه الامام العالم الصالح عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليمني الشافعي الشهير باليافعي .<sup>(١)</sup> ولد في عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م ولما رأى والده آثار نبوغه أرسله ليعدن ليتلقى فيها العلوم وأخذ عن علمائها ، وعن مفتيها ، ومنهم شرف الدين أحمد بن علي الحراز وغيره ، ثم عاد لبلاده ، وكان يحب الخلوة والانقطاع ، حج في سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م ثم عاد لليمن ثم رجع مرة أخرى للحج في عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م وسمع اليافعي على الشيوخ والفقهاء بمكة المكرمة ومنهم رضى الدين الطبرى ، ونجم الدين الطبرى ، وكان كثير العبادة والورع ، كما كان عالما بالفقه والحساب ، وعارفا بكثير من فنون العلم .<sup>(٢)</sup> وذكر ابن بطوطة أنه رآه بالحرم الشريف ، وأنه كان يكثر الطواف بالليل وفي أول النهار ، بالإضافة الى أنه كان يجلس مشاهدا للكعبة الشريفة الى أن يغلبه النوم ، فينام قليلا ، ثم يجدد الوضوء بعدها ويعود لحاله من الطواف .<sup>(٣)</sup>

وكان اليافعي اما ما يشترشد بعلومه ، ويقتدى به ، كما أن له مصنفا ت عديدة في أنواع كثيرة من العلوم ، بالإضافة الى نظمه للشعر ، وكان له فضل

( ١ ) ابن بطوطة ، ص ١٥٢-١٥٣ ، انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ،

ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٥٣

( ٢ ) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، الفاسي ، العقد الثمين ،

ج ٥ ، ص ١٠٤-١٠٦ .

( ٣ ) ابن بطوطة ، ص ١٥٣

كبير فى نشر الوعي والعلم والثقافة فى المجتمع المكى ، كما أنه كان مريها للطلبة " المريدین ، وكان كثير الاحسان لهم ، ومات فى مكة المكرمة سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م ، ودفن بمقبرة المعلا .<sup>(١)</sup>

وقامت المدارس فى مكة المكرمة لتسهم فى نشر العلم والمعرفة هى الأخرى بجانب المسجد الحرام فى المجتمع المكى . وبدأت المدارس فى المجتمعات الاسلامية فى التطور فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ولكن ظهورها فى مكة المكرمة لم يبدأ الا فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى . وكانت أقدم مدرسة قامت فى مكة المكرمة هى مدرسة الأرسوفى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ١١٩٦م أسسها عفيف الدين عبد الله محمد الأرسوفى ، وبنى بجوارها رباطا أوقفه لسكن طلبة المدرسة عرف برباط أبى رقية ، وتقع هذه المدرسة بالقرب من باب العمرة .<sup>(٢)</sup>

ومن مدارس مكة المكرمة كذلك مدرسة الزنجيلى ، أسسها الأمير فخر الدين عثمان بن على المعروف بالزنجيلى ، كان نائبا للسلطان صلاح الدين الأيوبي فى عدن ، وتقع هذه المدرسة عند باب العمرة ، كان وقف هذه المدرسة على الحنفية فى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، وعرفت بعد ذلك

هب  
(١) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ ، ابن العماد ، شذرات الذ

ج ٦ ، ص ٢١٢-٢١١ ،

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ ، الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٥ ص ٢٤٧ ، الفاسى شفاء الفرام ج ١ ، ص ٣٣٠ ، عبد الرحمن صالح ، تاريخ

التعليم بمكة ، ص ٦١-٦٥ .



بدار السلسلة وتخصصت هذه المدرسة في تدريس الفقه والتفسير ، وتو  
صاحب هذه المدرسة في عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م .<sup>(١)</sup>

ومن مدارس مكة المكرمة أيضا مدرسة طاب الزمان الحبشية ، عتيقة  
ال خليفة المستضىء العباسي ، أوقفها سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ، وكان موقعها  
في الموضع المعروف بدار زبيدة ، وكانت هذه المدرسة وفقا على فقهاء  
الشافعية أوقفها على عشرة منهم مقيمين بمكة المكرمة .<sup>(٢)</sup>

وأشارت الرحالة المسلمين عن المدارس الموجودة بمكة المكرمة كانت  
عبارة عن اشارات عابرة ، فمثلا الرحالة العبدري أشار الى وجود مدرسة  
في الجهة الغربية من المسجد الحرام ، عند باب العمرة ، وذكر أنها  
مدرسة جميلة " مليحة لها علو وسفل " . وأشار العبدري بأنه دخلها  
ليبحث عن سكن له فيها ، ولكنه لم يسكنها حيث وفق في سكن آخر . ولما  
سأل الرحالة العبدري عن القائم بأمر هذه المدرسة ، قيل له بأنه حفيد  
المحب الطبري ، وهو فتى حديث السن ، هذا ولم يذكر العبدري تفصيلا ت  
عن المدرسة .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) ابن فهد ، اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٣ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص  
٢٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٩١ ؛ الفاسي ،  
العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ج ٦ ص ٣٤-٣٥ .  
( ٢ ) ابن فهد ، اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٣ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ ،  
ص ١١٧ ، ج ٨ ، ص ٢٦١ ؛ عبد الرحمن صالح ، تاريخ التعليم بمكة ص ٦١-٦٥  
( ٣ ) العبدري ، ص ١٧٤ .

ولعل هذه المدرسة التي أشار إليها الرحالة العبدري هي السبتي أشار إليها التجيبي السبتي وذكر بأنها تقع تجاه باب العمرة في الجهة الغربية للحرم. وذكر التجيبي أيضاً بأن هذه المدرسة هي المدرسة المظفرية التي أسسها سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣ م السلطان عمر بن رسول الملقب بالملك المنصور ، صاحب اليمن .

وكانت هذه المدرسة ذات شكل بديع ، وبناء مزخرف جميل ، كما أنها كانت حافلة بالطلاب . وأوقفت على هذه المدرسة أوقافا كثيرة ، وكانت وقفاً على الفقهاء الشافعية . وكان لهذه المدرسة باب يؤدي إلى المسجد الحرام بين باب العمرة وباب إبراهيم <sup>(١)</sup> . وأشار الرحالة ابن بطوطة بأنه سكن في هذه المدرسة <sup>(٢)</sup> .

وفي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤ أمر الخليفة المستنصر العباسي بإنشاء مكتبة في هذه المدرسة ، وأرسل الأموال إليها من بغداد ، وبعد ما أصبحت مقراً للملك المنصور وزوجته حينما كانا يتوجهاً لآداء فريضة الحج . وكان بهذه المدرسة بئر يستعمل للوضوء ، وشباك يطل على الكعبة <sup>(٣)</sup> . وقام بالتدريس في هذه المدرسة محب الدين الطبري ، وكان الملك المنصور قد كلفه بالتدريس

( ١ ) التجيبي السبتي ، ص ٢٤٦

( ٢ ) ابن بطوطة ، ص ١٥٢ .

( ٣ ) ابن بطوطة ، ص ١٥٠-١٥٢ ، انظر ابن فهد اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٥ .

فيها ، ورتب له في كل شهر خمسين دينارا . (١)

وأشار الرحالة ابن بطوطة الى القاضي شهاب الدين ابن القاضي نجم الدين محمد الطبري (٢) . وقد درس هذا القاضي بالمدرسة المجاهدية التي أنشأها في سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م الملك المنصور المجاهد (٣) . وكانت هذه المدرسة تقع جنوب المدرسة المنصورية ، وسمى باب المسجد الحرام المجاور لها " باب المجاهدية " وكان يسمى كذلك " باب الرحمة " وهو من أبواب بني مخزوم (٤) . وأوقفت هذه المدرسة على الفقهاء الشافعية وأوقف عليها الملك المجاهد أوقافا في ثلاثة مواضع من " وادي زبيد " وذلك للقائمين عليها خوفا من أن يتغير حال موضع من هذه المواضع الثلاثة في سنة من السنوات ، فيكون في غيره ما يستعينون به في سنتهم في العالم المقبل (٥)

(١) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٦٥ .

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٩١

(٣) الخزرجي ، العقود ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٥١٩ ، والملك المجاهد " هو سيف الدين علي بن الملك المؤيد ابن الملك المظفر بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي ابن منصور تولى حكم اليمن بعد موت الملك المؤيد سنة ٧٢١هـ ، وتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ، انظر الخبزرجي ، العقود ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٢١٩

(٥) الخزرجي ، العقود ، ج ٢ ، ص ٦٨

أما العلماء والأئمة والفقهاء الذين قابلهم الرحالة المسلمون في مكة المكرمة ، فهم كثيرون ، وهؤلاء كان لهم دور عظيم وهام في رفع المستوى العلمي في مكة المكرمة ، فالرحالة التجيبي السبتي أشار إلى الفقيه الامام أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن محمد بن ابراهيم الطبري المكي المنشأ والمولد <sup>(١)</sup> . ووصفه الفاسي بأنه عالم فقيه ، ومحدث بارع ، وعابد ورع ، وكان يرجع إليه جماعة الشافعية بمكة المكرمة ليستفتوه فيفتيهم ، كما أنه كان اماما بالمقام الشريف وهو أحد فقهاء مكة المكرمة وفضلائها ، بالاضافة الى أنه كان مفتي الحجيج في منى وعرفات . وكان كثير الاجتهاد في العبادة ، وفي طلب العلم والتفقه ، أفتى ، وقرأ الحديث ، بالاضافة الى معرفته باللغة العربية <sup>(٢)</sup> .

وأضاف الرحالة التجيبي السبتي بأنه حدث أكثر ما عنده ، وكان له العديد من المشايخ ، كما كانت له عدة مرويات منها صحيح الامام البخاري ومنها الوسيط في التفسير للواقدي ، وسمعه جميعه كاملا من محب الدين الطبري <sup>(٣)</sup> . كانت ولادته بمكة المكرمة سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ، وولى الامامة وحدث أكثر من خمسين سنة ، وكانت وفاته سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م بمكة المكرمة ودفن بالمعلا <sup>(٤)</sup> .

(١) التجيبي السبتي ، ص ٣٨٠ ؛ انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٢٤٠

(٢) الفاسي ، العقد الثمين ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣

(٣) التجيبي السبتي ، ص ٣٨٠-٣٨٢

(٤) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٢٤٣

ومن العلماء الذين قابلهم الرحالة التجيبي السبتي ، وكان له دور كبير في رفع المستوى التعليمي بمكة المكرمة ، الشيخ الفقيه الصالح أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي المكي كان يوصف بالعماد ، ويكنى بأبي الحسن وأبي القاسم وأبي محمد ، وهو مفتي مكة المكرمة ، كان غزير العلم ، شديد الاقبال على دراسة الفقه ، يعسرف الاحاديث واللغة العربية .<sup>(١)</sup> ولد بمكة المكرمة سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م وكان له منزلة عظيمة في قلوب أهلها .

وذكر الفاسي أنه كان وقور المجلس وكان اذا طاف بالبيت الشريف لا يكلم أحدا ، كما كان لا يشغل نفسه الا بذكر الله سبحانه وتعالى بمسند الانتهاء من الطواف . وكان يعتكف في بيت صغير خلف قبة الشراب ليعتبد فيه ويسمع الاحاديث النبوية ، وحج أكثر من ستين حجة ، وكان أحد العلماء الصالحين ، وسمع جده الامام نجم الدين أبا الربيع سليمان بن خليل بن ابراهيم المسقلاني ولازمه كثيرا ، وسمع على عدة مشايخ وأجازوه ، منها صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وسمع الامام أبي داود ، وجامع الترمذي ، وشمائل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره الكثير . كانت وفاته في عام ٧٠١ هـ .<sup>(٢)</sup> م ١٣٠١ .

---

( ١ ) التجيبي السبتي ، ص ٣٦٢ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٠٣ .

( ٢ ) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٠٤ .

والرحالة العبدري أشار بأنه لم يلق في مكة المكرمة أثناء زيارته لها أى أحد من العلماء ولا الفقهاء ، ولم يأخذ عن أحد ، وذكر بأن السبب فى ذلك انشغاله بأمور تتعلق بالحج " وقد قضى الله بأننى لم ألق بمكة المكرمة شرفها الله من يؤخذ عنه علم لشغلى فى تلك الأيام بأمور الحج مع رجائى فى الإقامة ، فلم أعط البحث حقه " (١)

وأشار الرحالة العبدري بأنه قابل شيخ مكة المكرمة محب الدين الطبرى باليمن . (٢) ومحب الدين الطبرى هذا هو شيخ الحجاز واليمن ، كان له دور عظيم فى نشر العلوم والثقافة الدينية فى المجتمع المكي ، وهو يدعى أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم ، ويكنى بأبى جعفر وأبى العباس ، وهو مكي شافعى المذهب ، وكانت ولادته فى مكة المكرمة فى عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م . وذكر الفاسى أن محب الدين الطبرى قرأ على كثير من علماء مكة المكرمة ، كما سمع عنه الكثير كذلك من أعيان مكة ومن قضاتها ، وكانت له مؤلفات عديدة فى التفسير والحديث والفقه ، كما كان له ديوان من الشعر الجيد ، منها قصيدة ذكر فيها المنازل بين مكة والمدينة ، وله كتاب مشهور يسمى " القرى لقاصد أم القرى " ، وقيل أنه محدث الحجاز ، وقيل ما أخرجت مكة بعد الشافعى مثل المحب الطبرى (٣)

(١) العبدري ، ص ٢٠٠

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٠

(٣) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٦١-٦٦

وكانت للمحب الطبرى منزلة عظيمة عند ملك اليمن شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ، وكان يحسن اليه كثيرا وكلفه بالتدريس فى المدرسة المنصورية التى أنشأها أبوه بمكة المكرمة ، وكان المحب الطبرى يسافر الى اليمن كثيرا لقصد ملكها ، وكان يسمع مروياته ، وكانت وفاته سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤ م ودفن بالمعلا . (١)

وأشار الرحالة ابن بطوطة الى الفقيه محمد بن فهد القرشى وأشار بأنه من فضلاء مكة المكرمة وكان قوالا للحق نزيها عظيما ، وكان له فضل " مساهمة فى رفع المستوى التعليمى فى المجتمع المكى " . (٢)

ومن الفقهاء الذين أشار اليهم كذلك الرحالة ابن بطوطة شهاب الدين أحمد بن على ، وذكر بأنه من كبار أئمة مكة وفضلائها ، وأنه كان امام مقام الحنفية ، وهو أحمد بن على بن يوسف بن أبى بكر بن أبى الفتح السجزي وكان يكنى بأبى العباس ، ويلقب بالشهاب الحنفى المكى (٣) . وقد أجاز له أناس كثيرون بمكة المكرمة منهم الشيخ محب الدين الطبرى وأولاده وغيرهم كثيرون ، كما أنه سمع بالاسكندرية من محدثيها تاج الدين على أحمد العراقى ، وكذلك سمع عليه جماعة من شيوخ مكة المكرمة ، تولى امامة الحنفية

( ١ ) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٦٦-٦٨

( ٢ ) انظر ماسبق ، ص ٩٢

( ٣ ) ابن بطوطة ، ص ١٥١ ، انظر الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١١١

بالمقام بعد أخيه ، وتولى التدريس في مدرسة الزنجيلي ، ولد بمكة المكرمة  
(١) سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م وتوفي بها سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م .

وهكذا كانت مكة المكرمة وحياتها العلمية والثقافية كما وصفها الرحالة  
المسلمون . كانت الحياة فيها مزدهرة بالعلوم والمعارف ، تضيئها مجالس  
العلم وحلقاته في المسجد الحرام والمدارس الكثيرة المنتشرة في أحيائها ،  
فحفظت مكة المكرمة تراث الأمة الإسلامية .

---

---

( ١ ) الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١١٣ .



الحائز

بيروت

أحمد الشناج التي توصل إليها البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى  
آله وصحبه وسلم ، وبعد :

فمن خلال دراستنا لما كتبه الرحالة المسلمون عن مكة المكرمة فيما  
بين القرنين السادس والتاسع الهجريين ، نستطيع أن نستخلص أهم  
النتائج التي توصل اليها البحث .

وأولى هذه النتائج هي عناية الرحالة المسلمين عناية فائقة ،  
واهتمامهم الاهتمام الكبير بوصفهم المسهب لمكة المكرمة بصفة عامة  
والكعبة المشرفة والمسجد الحرام بصفة خاصة . ويرجع ذلك لما لمكة  
المكرمة من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ولرغبتهم في أداء فريضة الحج  
وللتمتع بمشاهدة أم القرى التي انبثق منها نور الاسلام ليخرج الناس من  
الظلمات الى النور .

واتضح لنا من كتابات الرحالة المسلمين الفضائل الجليلة التي خص  
بها الله سبحانه وتعالى بلده الحبيب مكة المكرمة ، وذلك بوجود  
الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس فيها ، وأمدنا الرحالة المسلمون  
بمعلومات قيمة عن الحجر الأسود يمين الله في أرضه ، وعن مقام إبراهيم  
عليه أفضل الصلاة والسلام ، والحجر وهو الموضع الذي تركته قريش عندما  
قامت ببناء الكعبة المشرفة ، وعن ماء زمزم المبارك ، وأبواب المسجد  
الحرام التي كان أكبرها باب الصفا .

واتضح من كتابات الرحالة المسلمين أن أمراء مكة المكرمة كانوا يدعون بالولاء للخليفة العباسي في بغداد ، وكان خطيب مكة المكرمة يدعو في خطبة الجمعة للخليفة العباسي ، ثم لسلطان مصر والشام ثم لأمر مكة . وبرهنت الدراسة على أن أمراء مكة المكرمة كانوا في كثير من الأحيان يفرضون المكوس على حجاج مكة المكرمة وزوارها وتجارها الوافدين إليها . وكان الحجاج يلاقون صعوبة كبيرة في تسديد هذه المكوس ، مما أدى إلى تدخل بعض السلاطين في كثير من الأحيان ورفعهم لتلك المكوس وتعويض أمراء مكة المكرمة بالاموال والمؤمن ومنحهم الاقطاعات .

كذلك اتضح لنا من دراسة كتابة الرحالة عن مكة المكرمة أن من عادة أمير مكة الطواف بالبيت العتيق في احتفال كبير عند سفره أو عودته . كما بينت الدراسة أن سكان مكة فيما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين انقسموا إلى فرق كثيرة ومذاهب شتى ، كما كان لكل مذهب من المذاهب امام يصلى بجماعته في مكان مخصص له بالحرم الشريف .

وألفت كتابات الرحالة المسلمين الغوء على ازدهار النشاط التجاري في مكة المكرمة ، وذلك بسبب مكانتها الدينية وتشريفها بالبيت العتيق وموقعها الجغرافي ، مما جعل الالاف المؤلفه من المسلمين حجاجا وتجارا يتجهون إليها في موسم الحج كل عام ، فنشطت تجارتها وازدهرت ، ولعب تجار الكارمية الذين احتكروا تجارة البحر الاحمر والمحيط الهندي

دورا هاما في ازدياد النشاط التجارى وازدهاره في مكة المكرمة .

وكشفت كتابات الرحالة المسلمين عن الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التى كان يتجلى بها المجتمع المكي ،بالإضافة الى حسن مجاورتهم ومعاملتهم للغرباء وللصبيان الأيتام . وأوضحت الدراسة أن مجتمع مكة المكرمة كان يتكون من طبقة الأمراء ، وطبقة السكان الأصليين ، وطبقة المجاورين من الفقهاء والعلماء وكذلك طبقة التجار . كما أسهبت كتابات الرحالة في ذكر مختلف أنواع الأطعمة والأشربة التى كان يتناولها أفراد المجتمع المكي ، وبعض العادات والتقاليد .

كذلك اتضح من كتابات الرحالة المسلمين أن أهالى مكة المكرمة كانوا يقيمون احتفالات عظيمة فى الأعياد وفى المواسم الدينية ، وفى الأشهر الحرم ، كما بينت الدراسة عاداتهم الحسنة فى التصافح والتغافر فى أول كل شهر ، وتهنئة بعضهم البعض بالهلال الجديد ، وهى عادة حسنة كانت تصفى نفوسهم ، وتخلص قلوبهم .

وتعرضت كتابات الرحالة المسلمين كذلك عن الأريطة الموجودة بمكة المكرمة ، التى كان لها دور عظيم لما قدمته للعلماء ولطلاب العلم من استقرار فى السكن ، وفى تقديم الطعام والشراب لهم ، مما كان له أكبر الاثر فى زيادة عدد القادمين الى مكة المكرمة من العلماء وطلاب العلم .

كما أشارت الدراسة الى أن هذه الأربطة كانت تصلها إيرادات كثيرة من متحصلات الأوقاف التي أوقفها بعض السلاطين والأغنياء وغيرهم من أهل الخير .

وكان لابد أن تتعرض الدراسة الى الحياة العلمية والثقافية فــــى المجتمع المكي ، واتضح من كتابات الرحالة المسلمين الى أن المسجد الحرام شاهد حلقات العلم التي كانت تعقد يوميا فيه ، وكان المدرس يلقي الدروس على طلبته بجد ونشاط ، كما كان للطالب الحق في اختيار المدرس الذي يناسبه . وبالإضافة الى حلقات العلم التي كانت تعقد بالمسجد الحرام ، كانت هناك المدارس التي عنت عناية خاصة بالعلوم الدينية ، وساهمت مع المسجد الحرام على رفع المستوى العلمي والثقافي في مكة المكرمة .

وختاما أرجو أن أكون قد وفقت ، والله أسأل أن ينفعني بهذا العمل وينفع به المسلمين . وأستمد منه سبحانه العون والتوفيق ، وما توفيقــــى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

فَائِزَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرْكَبِ

( ١٧٧ )

أولا - المصادر والمخطوطة  
والمطبوعة

- القرآن الكريم
- ابن الاثير (عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، ت. ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)  
الكامل في التاريخ ، ١٤ جزءاً ، طبعة ليدن ١٨٥١-١٨٧٦م
- ابن أبيك الدواداري ( أبو بكر عبد الله ، ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)  
كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء التاسع وعنوانه " الدر الفاخر فسي  
سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانز روبرت روير ، طبعة القاهرة  
١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م
- ابن بسام ( محمد بن أحمد بن بسام )  
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي  
طبعة بغداد ١٩٦٨ .
- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتي ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)  
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة بيروت  
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ابن جبير ( أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الاندلسي ،  
ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م )  
تذكرة بالآخبار عن اتفاقات الأسفار ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

- ابن الجوزى ( جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م )  
- مشير الغرام الساكن فى فضائل البقاع والأماكن ، مخطوط بدار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ١٤٣٢ تاريخ  
- الوفا بأحوال المصطفى - جزآن - طبعة القاهرة - ١٩٧٦ م .
- ابن حجر العسقلانى ( شهاب الدين أحمد ، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م )  
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاسر  
المولى ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
- ابن حوقل ( أبو القاسم محمد بن على بن حوقل البغدادي الموصلي ، ت  
٣٥٠ هـ / ٩٦١ م )  
صورة الارض ، طبعة ليدن ، ١٩٣٨ م .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م )  
مقدمة ابن خلدون ، طبعة القاهرة
- ابن خلكان ( أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ،  
ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م )  
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ١-٢ ، تحقيق محمد محسى  
الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م



- ابن رسته ( ابو عبد الله أحمد بن عمر ، ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م )  
الأعلاق النفيسة ، طبعة لندن ١٨٩٢ م .
- ابن رشيد ( محمد بن عمر بن محمد الفهرى السبتي ، ت ٧٢١ هـ / ١٩٢١ م )  
ملئى العيبة فيما جمع بطول الغيبة ، مخطوط بدار الكتب المصرية  
بالقاهرة برقم ٣٧٨٥١ ب .
- ابن زيني دحلان ( احمد بن زيني ، ت ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م )  
خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، طبعة القاهرة سنة  
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- ابن الضياء ( محمد أحمد بن محمد القرشى العمرى العدوى ٧٨٩ / ٨٥٤ )  
البحر العميق فى العمرة والحج الى بيت الله العتيق ، مخطوط  
بمكتبة الحرم بمكة المكرمة رقم ٤٠ .
- ابن ظهيرة ( جمال الدين محمد ، ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م )  
الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة  
الثانية ، مكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

- ابن علان ( محمد علان بن عبد الملك بن علي بن مبارك شاه المحدث العلوي الحسيني ، ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م )  
مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام ، مخطوط بمكتبة الحرم بمكة المكرمة ، رقم ١٤٣ .
- ابن العماد ( ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م )  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، طبعة بسيروت ١٣٥٠هـ / ١٣٥١هـ .
- ابن فضل الله العمرى ( أبو العباس أحمد ، ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م )  
مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، الجزء الاول ، تحقيق أحمد زكى طبعة القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م .
- ابن فهد ( عمر بن محمد بن محمد بن فهد القرشى الهاشمى المكي ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م )  
اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوط بمكتبة الحرم بمكة المكرمة  
رقم ٢ دهلوى .
- ابن كثير ( اسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م )  
البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، طبعة القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م

- ابن منظر —————  
لسان العرب ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٠٠-١٣٠٨ هـ .
- أبو اسحق الحريشي  
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حميد الجاسر ، طبعة دار اليمامة بالرياض .
- أبوشامة ( عبد الرحمن بن اسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م )  
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، جزآن ، طبعة القاهرة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م .
- أبو الفدا ( عماد الدين اسماعيل ابن محمد بن عمر ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م )  
تقويم البلدان ، طبعة باريس ١٨٤٠ م .
- الأزرقى ( أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م )  
أخبار مكة وما أجاء فيها من الآفار ، تحقيق رشيد الصالح ملحم - جزآن ، طبعة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ) .

- الأسدي ( أحمد بن محمد ، ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م )  
أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مخطوط بمكتبة الحرم  
بمكة المكرمة رقم ١٨ تاريخ
- الأصطخري ( أبو اسحق ابراهيم بن محمد ، ت ٦٤٠هـ / ١٠٦٨م )  
المسالك والممالك ، طبعة القاهرة ١٩٥٦ م .
- البلاذري ( أحمد بن يحيى جابر ، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م )  
فتوح البلدان ، جزآن ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة  
القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- البلوي ( خالد بن عيسى ، ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م )  
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، جزآن ، تحقيق حسن السايح  
طبعة المغرب ، الجزء الثاني مخطوط بدار الكتب المصرية ،  
بالقاهرة تحت رقم ٢٠٢ / ٤٠٠ جغرافيا .
- التجيبي السبتي ( القاسم بن يوسف ، ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م )  
مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار  
العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

- الجزيرى الأنصارى (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ، ت ٩٧٦ هـ

(١٥٦٨ م)

درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة ، طبعة

القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

- الحميرى ( محمد بن عبد المنعم )

الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، طبعة

بيروت

- الخزرجى (على بن الحسن بن أبى بكر ، ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م)

العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولية الرسولية ، تحقيق محمد

بسيونى عسل ، جزءان ، طبعة القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)

- خليل بن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ، ت ٨٧٢ هـ

(١٤٦٨ م)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، طبعة باريس

١٨٩٤ م

- سبط ابن الجوزى ( شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوظى ، ت ٦٥٤ هـ

(١٢٥٧ م)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، الجزء الثامن ، طبعة جيد رباب

١٣٧٠ هـ

- السيوطى ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م )  
الجامع الصغير فى أحاديث البشير والنذير ، جزآن ، الطبعة  
الرابعة ، بيروت ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- الصباغ ( محمد أحمد الصباغ ، ت ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م )  
تحصيل المرام فى أخبار بيت الله الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم  
وولاتها الفخام . مخطوط بدار الكتب المصرى بالقاهرة رقم ٢١٦٣ -  
مخطوط بمكتبة الحرم بمكة المكرمة رقم ٤٨ .
- الطبرى ( أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محاسب  
الدين الطبرى المكى ، ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م )  
القرى لقاصد أم القرى ، طبعة القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م
- العبدرى ( أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى ، رحلته ٦٨٨ هـ / ١٣٨٩ )  
الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، طبعة الرباط ١٩٦٨
- العياشى ( أبو سالم عبد الله العياشى ، ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م )  
الرحلة العياشية ، ماء الموائد ، جزآن ، طبعة الرباط  
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- الفاسى ( تقى الدين محمد بن أحمد بن على ، ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م )  
• شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جزآن ، طبعة القاهرة ١٩٥٦ م

- المعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، ٨ أجزاء ، الجزء الاول ، تحقيق حامد الفقى ، طبعة القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ، الأجزاء ٢-٧ تحقيق فؤاد السيد ، طبعة ١٣٨١-٨٣-٨٤-١٣٨٧ هـ ، الجزء الثامن تحقيق محمود الطناحى طبعة ١٣٨٨ هـ .
- القاسى ( محمد بن سلمان ، ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م ) جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد ، المدينة المنورة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- القلقشندى ( أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، ١٤ جزء ، طبعة القاهرة ١٩١٩ / ١٩٢٢م
- الكتبى ( محمد بن شاكربن أحمد ، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ) فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، طبعة بيروت ١٩٧٤م
- الماوردى ( أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى ، ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧م ) الأحكام السلطانية ، طبعة بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
- المقدسى ( شمس الدين محمد بن على ، ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٩م

- المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م )  
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزآن ، طبعة القاهرة  
١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .
- الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ،  
تحقيق جمال الدين الشيال ، طبعة القاهرة ١٩٥٥ م .
- ناصر خسرو ، ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م  
سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٠ م
- النهروالى ( قطب الدين النهروالى المكى الحنفى ، ت ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م )  
الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ١٣٧٤ هـ
- الورثيلانى ( الحسين بن محمد الورثيلانى ، ت ١١٩٣ )  
نزهة الانظار فى فضل علم التاريخ والاخبار ، طبعة بسيروت  
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
- ياقوت الحموى ( شهاب الدين أبى عبد الله الحموى الرومى ت ٦٢٦ هـ  
١٢٢٩ م )  
معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، طبعة بيروت ١٩٧٧ / ٥٧ م



- يحيى بن الحسين ( يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن عيسى  
ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م )  
غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبدالفتاح  
عاشور ، جزآن ، طبعة القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

ثانيا - المراجع العربية

- ابراهيم رفعت  
مرآة الحرمين ، جزآن ، طبعة القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م
- أحمد ابراهيم الشريف  
مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ، طبعة القاهرة ١٩٦٥م
- أحمد السيد دراج  
عذاب ، مقال بمجلة نهضة افريقية ، يوليو ، اغسطس ١٩٥٨م
- أحمد رمضان أحمد  
شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م
- أحمد السباعى  
تاريخ مكة ، طبعة مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٧٩م

- أحمد عبد الغفور عطار  
الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ، مكة المكرمة  
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- أنستاس مارى الكرملسى  
النقود العربية وعلم النميات ، طبعة بيروت ١٣٩٥هـ
- حسن ابراهيم حسن  
تاريخ الاسلام السياسى ، الطبعة السابعة ، ٤ أجزاء ، القاهرة  
١٩٦٤م
- حسنين محمد ربيع  
البحر الاحمر فى العصر الايوبى ، بحث فى ندوة تاريخ البحر  
الاحمر بجامعة عين شمس ١٩٧٩م .
- وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانسى  
الحجاز واليمن فى العصور الوسطى ، الندوة العالمية الاولى  
لمصادر تاريخ الجزيرة العربية / قسم التاريخ / كلية الاداب ،  
جامعة الرياض ، سنة ١٩٧٧م .
- النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤م

- حسين عبد الله باسلامة  
تاريخ عمارة المسجد الحرام ، طبعة القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية .
- زامبــــــــــــاور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة .  
ترجمة د . زكى محمد حسن - حسن أحمد محمود ، طبعة القاهرة  
١٩٥١ \
- زكى محمد حـــــــــــــسن  
الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، طبعة القاهرة
- شكيــــــــــــب أرســــــــــــلان  
الارتسامات اللطاف فى خاطر الحج الى اقدس مطاف ، القاهرة  
١٣٥٠هـ
- عائشة عبد الله عمر باقاسى  
بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير ١٣٩٩ / ٢٠٠٠هـ  
قسم التاريخ الاسلامي ، كلية الشريعة ، جامعة الملك عبد العزيز  
بمكة المكرمة باشراف الدكتور حسنين ربيع .
- عباس كــــــــــــــــرار  
تاريخ الحرمين الشريفين ، الطبعة الخامسة ، مكة ١٣٩١ / ١٩٧١م هـ

- عبد الرحمن الحوت  
رسالة المسجد والامام ، بحوث مؤتمرة رسالة المسجد ، ١٣٩٥ هـ  
٠ ١٩٧٥ م
- عبد الرحمن صالح عبد الله  
تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، مكة المكرمة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م .
- عبد الرحمن فهمي  
النقود العربية ماضيها وحاضرها ، طبعة القاهرة ١٩٦٤ م
- عبد القدوس الأنصاري  
مع ابن جبير في رحلته ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- علي بن الحسين السليمان  
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة  
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
- النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى  
١٢٥٠ - ١٥١٧ م  
رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الاداب ، جامعة  
القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

- محمد حسين يوسف  
رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ ، بحوث مؤتمر رسالة  
المسجد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- محمد عبد الرحمن الشامخ  
التعليم في مكة والمدينة ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
- محمد لبيب البتنونسي  
الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٩هـ
- محمد مبارك  
نظام الاسلام " الاقتصاد " ، طبعة بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
- محمد كامل حتاسة  
في ظلال الحرمين ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٧٤م
- محمد أبوزهرة  
الامام زيد ، حياته ، عصره ، آراؤه وفقهه ، القاهرة ١٣٧٨ هـ  
١٩٥٩م .

